باب السفراء الى القرآن

(المقدمة)

" اركبوا فيها بسم الله مجريها و مرساها ان ربي لغفور رحيم" ان القرآن سفينة, و علماء القرآن هم الدعاة لركوب هذه السفينة. و كل دارس للقرآن يرى بابا لا بد من دخول الناس منه لكي يفهموا القرآن. و من هنا يؤلفون الكتب التي تسمى " مدخل الى " و لكل علم و لكل كتاب مدخل كالبيت. و كما أن السفينة احتاجت الى نوح ليدعوا الناس الى ركوبها, و لم يقل " هذه السفينة موجودة فمن شاء أن يركبها فليركبها" , فكذلك الكتاب يحتاج الى دارسين ليبينوا المدخل للناس. و من هنا نشأ هذا الكتاب الذي بين يديك.

و اني أرى أن مدخل كتاب الله يجب أن يحوي خمس مسائل: دعوى الوحي الالهي, و الكتاب لمن؟ , جمع القرآن, اصلاح المصحف, قاعدة لفهم القرآن.

أما الأولى, فهي للاجابة عن مسألة "كيف نعرف أن القرآن كلام الخالق؟" و هل تهمنا أصلا الاجابة عن هذا السؤال, و ان كان يهمنا فهل يوجد طريق علمي لمعرفة ذلك؟

و أما الثانية, فبما أن كل كتاب يكون موجه بالضرورة الى جمهور معين, فنريد أن نعرف هذا القرآن موجه الى من من الناس؟

و أما الثالثة, فنريد أن نعرف هذا القرآن الذي بين أيدينا من الذي كتبه و متى جمع؟

و أما الرابعة, فانا قد وجدنا أن هذا المصحف قد تعرض الى تغييرات شكلية أضعفت كماله, و نرى أن هذه الصحف يجب أن تكون كما وصفها الله " يتلو صحفا مطهرة" , و يوجد بضعة اصلاحات يجب أن تتم.

و أما الخامسة و التي هي لب الكتاب فهي قواعد لدراسة القرآن كما يريد القرآن. و هذا هو لب الكتاب و سبب التأليف الأول و الأخير.

ان القرآن يصور نفسه على أنه بيت الله الملك, و كل من يرغب في تعلمه على أنه من زوار الملك, و اني قد رأيت باب البيت فوجدته هذا المدخل الذي بين يديك, فتعال و انظر.

1 (دعوى الوحي الإلهي)

ان محمد يقول أن هذا الكتاب وحي نزل به جبريل الملاك الذي هو رسول من الرب الأعلى. فلكي نفهم هذه المقولة يجب أن يكون قد استقر فينا من قبل أمور: أولا, وجود عالم غير هذا العالم الذي نشاهده بأعين أجسامنا. و ثانيا, وجود الرب الأعلى. و ثالثا, وجود جبريل. و رابعا, وجود اهتمام من هذا العالم الأعلى بأمور الناس. و خامسا, لماذا لا يأتي جبريل الى كل الناس. و الكثير من أمثال هذه التساؤلات و التي لا يمكن تصور فهم المقولة الا بالاجابة عليها.

و لا يمكن الاجابة عليها باستعمال الكتاب نفسه, لأن هذا دور باطل بداهة, فكيف تصدق الكتاب في اثبات أن الكتاب صادق؟ الدليل على الأمر يجب أن يكون من غيره. فمثلا لو أردنا أن نعرف صدق دعوى رجل يجب أن نثبت هذا الصدق لا من مجرد قول الرجل, لأنه لو كان ذلك لادعى كل أحد بما يشاء, و هكذا مع الكتاب, فعندما يقول أنه من كذا, فيجب أن نعرف كذا حتى نفهم كلامه.

الأمر الوحيد الذي نوقن به مبدئيا هو هذا العالم الجسماني المشاهد لنا, كل حي يعرف ذلك بداهة لأنه لولا وجود هذا العالم لما كان يتنفس أصلا. و أي عالم غير هذا يجب أن يأتي المدعي ببرهان من هذا العالم, فهذا هو العامل المشترك بين كل الناس.

و لكن, كيف نفهم نحن أصلا هذا العالم الجسماني؟ ما الفرق بين التجربة الانسانية و التجربة الحيوانية؟ الانسان يرى ظاهرة معينة, فيلاحظها ثم يستنبط منها قانونا ما, فنرى كل هذه العلوم القائمة على التجربة.

و لكن قبل ذلك يجب أن نفهم كيف نحن نفهم التجربة أصلا؟ أو لماذا نستطيع أن نفهم التجربة أو الظاهرة الجسمانية, سواء أكانت حركة الأفلاك أو النباتات و كل شيء؟ فالحيوانات لا تفهم أبعد من نطاق حياتها. و الحجارة لا تفهم كذلك. فنحن لم نرى أو نسمع أن الأسود كونت علما في الفلك, أو أن النباتات اكتشفت نظرية في النفس الانسانية. فيجب أن يكون في الانسان أمر ما يجعله يفهم الظواهر, و يربط بين المتغيرات, و يستنبط من هذه الارتباطات علما, و سنسمي هذا الشيء كما تعارفنا " العقل" لأن العقل يعني الربط بين الأمور.

الآن, هذا العقل نفسه له أساس, أي الأساس الذي يفهم به, هل هو مستمد من مشاهدة و تجربة؟ لا يمكن. لأنه لن يفهم العقل أي تجربة الا لو كان فيه هذا الأساس السابق على التجربة. فبدون افتراض وجود أحكام سابقة على

التجربة لا يوجد تجربة أصلا, و يصبح الانسان كالحجر تماما بالنسبة لفهم الظواهر الجسمانية. و بما أننا نرى أن الناس تفهم الظواهر, و ها هي ثمار هذا الفهم في كل هذا العلم المتواجد بيننا, فاذن يمكن أن نقرر بيقين تام وجود أساس في العقل سابق على أي تجربة و به وحده يمكن فهم التجارب. و ان اختلاق الناس للقصص و الاساطير و الكائنات الخرافية التي لا وجود لها في هذا العالم, بل ووجود القابلية لتخيل كائنات و قوانين و امور ليست من هذا العالم هو قرينة اخرى على وجود بعد اخر في العقل غير مستمد كله من هذا العالم. و العقل اللاشعوري هو قصة و دليل بحد ذاته.

المحل الذي تتم فيه هذه الظواهر الطبيعية هو عالم التجارب, عالم الأجسام. و العقل بما أن أساسه موجود في شيء من قبل التجربة, فهذا الشيء هو غير هذا العالم الجسماني, عالم آخر. و بما أن الأساس هذا قبل التجربة فاذن هذا العالم الآخر قبل هذا العالم الجسماني, و هو أساس هذا العالم.

فكيف جاء هذا الأساس من العالم الآخر الى هذا العالم؟ لأننا لا نرى شيئا يأتي و يزرع الأساس في رؤوس الأطفال. فاما أن العلاقة بين العالمين كالجذر و الأصل بالنسبة للشجرة, فنحن نرى الشجرة تكبر أمامنا و لكننا لا نرى ظاهريا ما هو سبب النمو. و اما أنه يوجد كائن ما يضع هذا الأساس بطريقة خفية. و اما أن العقل نفسه في ذاك العالم فتكون العلاقة بين العالمين كالرأس و الجسم.

ما يمكن أن نقرره مبدئيا هو وجود علاقة قوية بين العالمين. لأننا قد اضطررنا أن نقر بوجود أساس للعقل قبل أي تجربة و ليس مستمد من تجربة, اذ لولا هذا لما فهمنا أي ظاهرة أصلا و هذا غير صحيح لأننا نفهم الظواهر. ثم اضطررنا أن نقر بوجود عالم آخر غير هذا العالم الجسماني, و سابق عليه, و هو الأساس الذي بحسبه تتكون هذه الظواهر التي نراها, لأننا بالأساس نفهم الظواهر, فلولا أن الظواهر نفسها محكومة بنفس الأساس هذا لما استطعنا أن نفهم شيء. فالأحكام الجسمانية لها قانون تسير عليه, و عقلنا يستطيع استنباط هذا القانون حتى لو كان هذا القانون هو الفوضى او الاضطراب, و انما يفعل ذلك بالأساس الذي فيه, فيجب أن نقر بوجود علاقة بين الأساس و القانون. بين الأساس العقلي و القانون الطبيعي.و بما أن الأساس قبل الظاهرة, فالعالم الذي منه الأساس قبل العالم الذي فيه الظاهرة. و بما أنه يوجد علاقة بين الأساس العقلي و القانون الطبيعي فالعالم الآخر هو أصل كلا الأمرين, أي الأساس العقلي و القانون الطبيعي. و بما أن الأساس العقلي ليس من العالم الطبيعي, و مع ذلك نرى في أنفسنا أننا أجسام و عقول في آن واحد, فنحن نتحرك بالأجسام و نفكر بالعقول, فاذن يوجد علاقة بين العالمين.

الشيء الذي يعطي أحكام لشيء يكون أعلى منه و لو في العرف. كالملك الذي يعطي الشعب. فهذا العالم الآخر بما أنه أصل القانون الطبيعي و العقل الانساني فهو العالم الأعلى بالنسبة لعالم الأجسام الذي هو أدنى منه بحكم أن القانون الذي يسير عليه ليس منه نفسه. اذ نحن لم نقل أننا نريد عينين, و الشمس كذلك لم تقل أنها تريد أن تكون محور الكواكب, لأن هذا يفترض وجود الشمس قبل وجودها.

دعونا نراجع تحليلنا. لولا وجود أساس في العقل لما فهمنا الظواهر الطبيعية. و هذا الأساس لا يمكن أن يستمد من فهمنا لظاهرة طبيعية لأن هذا يفترض وجود الفهم قبل وجود القدرة على الفهم و هذا مستحيل. و لا يمكن تصور شيء من لا شيء, فهذا الأساس بما أنه ليس من هذا العالم فهو من عالم آخر. فوجود العالم الآخر الذي هو أساس العقل يقين كالاقرار بوجود العقل نفسه, فلا يمكن أن ننكره الا بانكار كل علم قام على تجربة و بالتالي انكار العقل كله. و لذلك سأسمي هذا العالم بالعالم العقلي, لأننا بكونه أساسا لعقولنا عرفنا تحققه, أو قل تذكرنا تحققه.

فاذن يوجد عالم عقلي أعلى من العالم الجسماني.

فاذا ادعى انسان أن علما ما قد أتاه من غير تجربة شخصية منه فهي دعوى قد تكون صحيحة. و بما أن الأساس العقلي قد وضع فينا بغير أن نراه بأعين أجسامنا, فهو اعلام و لكنه خفي بحسب الظاهر. و هذا هو معنى كلمة "وحي" اعلام سريع في خفاء.

فاذن دعوى الوحي من العالم الأعلى ممكنة عقلا.

ففكرة الوحي مستقرة في عمق كل انسان, اذ كل انسان قد مر بها و يمر. أليس يفهم الظواهر و الأمور؟ و أليس هذا الفهم انما صار ممكنا بسبب وجود الأساس العقلي السابق على التجربة؟ و أليس هذا الأساس من عالم أعلى من عالم الأجسام؟ و أليس هذا الأساس قد أتاه في خفاء؟ هذا هو الوحي في أول صوره. فكل عاقل يعرف الوحي.

فبهذه الثلاث حقائق: وجود العالم العقلي الأعلى, و امكانية الوحي منه, و استقرار معنى الوحي عند كل الناس, نستطيع أن نسمع بكل اطمئنان لكل من يدعي أنه قد أتاه وحي من العالم الأعلى, فنقبل مبدئيا, و نقبل على دراسة ما يقول أنه جاءه, ثم ننظر في الأمر أنقبله أم لا.

و بالطبع نحن لا نستطيع أن نوقن تماما بصدق المدعي في نفسه, لأننا لا نعلم ماذا يدور في باطن عقله, فلعله اختلق كلاما, و لكونه عبقريا استطاع أن يأتي بعلم عجيب, كعباقرة علم التجربة, و لكن ادعى الوحي الأعلى حتى ينال شهرة و مرتبة عليا عند الناس, لأن دافع الراحة و الكبر هو الدافع لكل الناس على وجه الأرض. فيجب أن لا نهتم بالشخص نفسه بقدر اهتمامنا بالعلم الذي جاء به, بل يجب أن نشك بجدية في الرسول الذي يطلب مالا أو أمورا خاصة لنفسه, خاصة اذا استعمل دعوى الوحي في هذا الطلب. و لكن على أية حال يجب أن نأخذ الرسالة فقط, ثم منها ننطلق في ما توجه اليه بحسب الفهم.

و لكن كيف نحكم على الرسالة بكونها صدقا أم كذبا ؟ و كيف نحكم على الأمور التي فيها أنها صواب أم خطأ ؟ اذ الصواب ما وافق الغاية, فنحن لا نستطيع أن نحكم على أمر أنه صواب الا اذا سبق و حددنا غاية ما. فمثلا السرقة هل هي صواب أم خطأ ؟ لو كانت الغاية من الحياة الاجتماعية هي جمع المال بكل وسيلة ممكنة فالسرقة صواب, و لكن لو كانت الغاية هي تقسيم المال بحسب الجهد الشخصي و غير ذلك فتصبح السرقة خطأ. قتل الطيور صواب أم خطأ ؟ لو كانت الغاية من الحياة هي مجرد اللعب بأي شيء فهي صواب و الا فخطأ. و هكذا و كما هو معلوم و مبسوط في غير هذا المكان, فان الحكم على الشيء هو فرع لوجود تصور لغاية معينة.

فاما أننا نستطيع بمجرد عقولنا و تجاربنا أن نعين الغاية من الحياة, و بذلك نستطيع أن نحكم على أمور الرسالة بالصواب و الخطأ. و اما أننا لا نستطيع, فيتوجب على الرسالة أن تحدد هذه الغاية, و بذلك يكون من العبث محاكمة الرسالة, لأنها هي نفسها التي أصدرت الغاية, فان لم يوجد تناقض تام فيهما بين افكارها, فسنرى أن أحكامها كلها "صواب".

و بحكم تجربة الناس في كل مكان و زمان, نرى أن الناس لم يتفقوا على غاية معينة للحياة, بل ان البعض يرى أن الانتحار هو أحسن ما يمكن أن يقوم به الانسان, و بعض هؤلاء من العباقرة و الأثرياء ماليا. و كل انسان سيدعي أن الغاية هي كذا. و باختلاف الغايات تختلف المصالح, و باختلاف المصالح يحصل التنازع ثم التقاتل. ففي أحسن الحالات تنازل و في أسوئها تحارب. فاما أن الناس ستضطر أن تعمل بغير ما ترى أنه صواب فتنشأ الأمراض النفسية ثم الجرائم, و اما أن الأقوى و الأذكى سيغلب على الآخرين و سيجبرهم على العمل بحسب غايته هو.

و توحيد الغاية ليس معناه أن يصبح الناس كقطيع الغنم, ليس بالضرورة, و لكن وجود أولويات يتفق عليها الكل.

أول و أكبر سؤال يجب أن يطرحه كل حي على نفسه هو :لماذا لا أنتحر؟ لماذا نبقى و نسعى للبقاء أحياء؟ من العجيب أنا نرى المليارات من الناس أحياء, و يستميتون في العمل و النفاق و استعمال شتى الطرق فقط لكي يبقوا أحياء. ثم اذا سألت أكثرهم "لماذا تريد أن تبقى حيا ؟" فلن يجد جوابا. فمن أسهل الطرق و أوضحها لمعرفة لماذا نفعل شيء هو أن نعرف لماذا لا نترك هذا الشيء. فمثلا "لماذا تأكل؟" قد لا تقول "لأنني أريد أن أكون صحيحا جميل الهيئة" و لكن تقول "لأنني اذا تركت الأكل سأجوع و الجوع شعور بالألم و اني لا أحب أن أشعر بالألم" فكل ما علينا أن نفعله لنحدد معنى للحياة هو أن نحدد لماذا لا ننتحر. يجب أن نواجه الليل لنعرف النهار, و يجب أن نواجه الصحراء لنعرف قيمة الأشجار و الأنهار, و كذلك يجب أن نواجه الموت لنعرف سر الحياة او شئ عنه.

اما جوابي و الذي احسب ان التفكير الطويل و رؤية تجارب الاخرين و ممارسة الحياة بشتى صورها و الخوض فيها حتى الاذقان و الرغبة في السلامة منها, فان مثل هذا احسب انه سيصل مثلي الى هذا الجواب و الذي لا اجد غيره في الامكان على الاقل في الوقت الحالي, و هو"أن نبقى أحياء لكي ندرس الحياة و نتأملها" .

فبما أننا وجدنا في الحياة, و لنا عقول تفهم, فالغاية من الحياة هي أن نسعى لفهم الحياة, الحياة كلها, العالم الجسماني و العالم العقلي و العالم الانساني. فهذه هي العوالم الثلاثة التي نعلم تحققها في الواقع, و على التسلسل هكذا: العقلي و الجسماني و الانساني. لأن العقلي قبل الجسماني اذ هو الذي جعله على ما هو عليه ووضع فيه القانون الذي يسير عليه, و الجسماني قبل الانساني اذ انما وجد الانسان بجسم بعد وجود السماء و الأرض و الحيوانات.

فلماذا لا أنتحر و أنتزع حياتي مبكرا بنفسي؟ لأني أريد أن أدرس الحياة و أفهمها. و هذا هو المعيار العظيم الذي يجب أن نستعمله للحكم على الأمور بأنها صواب أم خطأ. و تتفاوت درجات العلم أو الكتاب بقدر ما يقدم من الفهم للحياة العقلية و الطبيعية و النفسية.

و بما أن الشعور بالرضا هو أقصى ما يطلبه كل انسان, و كل حركاته و سكناته هي من أجل الشعور بالرضا و الفرحة, فيجب أن تحتوي الرسالة العظيمة على ما يوصل الى هذا الشعور.

و بما أن العقل هو منبع كل فكرة و ارادة و عمل و شعور, فيجب أن تكون الرسالة موجهة للعقل و تعظم من شأنه الى ما لا حد له. و أيما رسالة تأتي و تقول بأنه يجب الايمان بكذا أو عمل كذا بدون أن تقدم ما يقنع العقل فهي لا شك باطلة, لأنه لا يستطيع أحد أن يؤمن الا ان عرف, و هل الاقتناع الا معرفة عميقة. و لأنه لا يستطيع أحد أن يعمل بدون دافع الارادة, و الارادة الحرة لا تنبع الا من اقتناع. فوجود التسليم الأعمى و "الأسرار" التي لا تفهم هو دليل كبير على كون صاحب الرسالة دعي دجال يريد التسلط على الناس بزعم الوحي. فيجب أن لا تقبل الرسالة أي ايمان أو عمل ان لم يكن عن قناعة و ارادة حرة.

و بما أنه لن يتفرغ أحد للدراسة الا ان توفرت له المعيشة الكريمة, فيجب أن تحتوي الرسالة الكاملة على الطريق الموصل الى هذا التفرغ و تيسير المعيشة.

فاذن يجب أن تحتوي الرسالة العظيمة على أربعة أمور: طرق تيسير المعيشة, و تعظيم الدراسة, و تقديس القناعة, و عدم الاعتداد الا بالارادة الحرة. وهذه الأربعة لا شك أنها ستنتج الشعور بالرضا.

بحكم التجربة الانسانية, نعلم أن الناس أرادت أن تحقق رغباتها في الراحة و الكبر عن طريق أمور كثيرة. منها التعالي على الناس بالحكم و الجيوش و الاستعباد, و جعل الناس تخدمهم بدعاوي كثيرة. فلا يبعد أن يستعمل بعض الناس دعاوي الوحي الغيبي لكي يحققوا هذا لأنفسهم, بل ما أكثر من يفعل ذلك. و لذلك فهذه الأمور الأربعة هي كالغربال (منخل) الذي لن يمر منه الا صادق نافع للناس.

فالحكومة الظالمة لن تسعى لتيسير المعيشة حتى لا يتفرغ الناس للتفكير و بالتالي خلعهم عن عروشهم. و كذلك رجل الدين الدجال لا يعظم الدراسة حتى لا يفهم الناس الأمور فيستغنوا عنه أو يرجموه.و لا هذا و لا ذاك يهتم بقناعة الناس و ارادتهم الحرة, فالطاغية لا يريد الا الخنوع بأي طريقة و وسيلة, و الثاني ليس عنده ما يقنع أصلا اذا وضع على المحك.

و بحكم التجارب, لم نرى الا هذين الصنفين الذين يستغلون دعوى الوحي الالهي لرغباتهم الشخصية و لكن يلبسونها ثوب الارادة الالهية. و لا يمكن لظالم أو دجال جاهل أن يقبل و يدعوا و يحقق في نفسه و أهله و من حوله هذه الأمور الأربعة, استحالة مطلقة, لأنها تتعارض مع ما يهدف اليه تعارضا لا يمكن ازالته الا بأن يمحو رغبته الظالمة أو يخفي أحد الأمور الأربعة و يلعن من يدعو اليه.

و لا يصح تماما أن نحكم على الكتاب عن طريق الذين يدعون أنهم ورثة الكتاب, لأنه و بكل سهولة قد يكون هؤلاء من النوعين الذين ذكرناهم, الظالم و الجاهل. و لكن بما أن الكتاب لكل من يعقل, فيجب أن نأخذ الكتاب و كأنه لنا, بل هو لنا, الا أن يقول الكتاب أنه لفئة خاصة من الناس فقط فهذا يجلب الشك فيه, لأنه لم يجعل المعيار في الاختيار هو باطن العقل, و لكن الدم أو أي شيء آخر من الأمور التي لا شأن للانسان بها, اذ لا الأبيض اختار أن يكون أبيض, و لا فلان اختار أن يكون ابن فلان. فأي تمييز بين الناس على غير أساس القدرة العقلية هو تمييز باطل و دليل قوي على الكذب. و في امكان كل الناس أن تفهم و تنمي قدراتها العقلية لو شاءت و توفرت لهم الظروف المناسبة. اذ كما أن كل الناس تستطيع أن تعقل الأمور الحسابية البسيطة فكذلك في امكانهم أن يعقلوا الأمور العالمية العظيمة. فمنهم من ينمي عقله و منهم من يتكاسل و يرضى بسافل الأمور.

فدعوى الوحي الالهي ان كان المقصود بصدقها هو أن نعرف ماذا يدور في باطن المدعي فهذا لا سبيل اليه. و ان كان المقصود بصوابها هو أن تكون قيمها "صحيحة" أو "صواب" فهذا مفتقر الى وجود غاية معينة للحياة يمكن معرفتها بالعقل المجرد يقينا, و هو ما لم يتحقق تمام التحقق الا اللهم غلبة الظن و اختيار الذوق الشخصي. و لكن ان كان المقصود بها هو نفع الناس في حياتهم, فهذا هو الاحتمال الوحيد, و هو ما يريده كل الناس, و من لا يريد أن ينتفع؟

و بناء على ذلك لا يهمنا مصدر القرآن, و لا يهمنا الرسول الذي جاء بالقرآن, و لكن يهمنا القرآن نفسه. هل ينفع الناس أم لا؟ و دراسته هي السبيل الوحيد الى معرفة ذلك. و نفس هذا الكلام يسري على كل من يدعي أن علما من العالم الأعلى قد أتاه. فلا يهمنا و لا نستطيع أن نعرف أصلا ان كان الذي أوحى اليه جبريل أو شرحبيل او الحجر الأسود. المهم هو هل ينفع الناس أم لا, هل يكشف عن العالم العقلي و الجسماني و النفسي ام لا.

يقول القرآن مبينا كل ذلك " كذلك يضرب الله الحق و الباطل. فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" فالحق هو ما ينفع الناس.

و لما سأل الملأ من قوم صالح الذين اتبعوا صالح و قالوا لهم "أتعلمون أن صلحا مرسل من ربه" قال الأتباع " انا بما أرسل به مؤمنون" . و لم يقولوا "نعم نعلم أنه مرسل من ربه" لأنهم لا يعلمون أصلا, و هل يعرفون ما يدور في باطنه؟ و هذا هو ما أراد الملأ الأذكياء أن يوقعوا فيه أتباع صالح, فنظروا من زاوية الرسول و المرسل, و لكن كان رد العقلاء هو "انا بما أرسل به مؤمنون" أي من زاوية الرسالة نفسها. فلا هم قالوا "انا به مؤمنون" ولا قالوا "انا بمن أرسله مؤمنون" و لكن قالوا بعلم "انا بما أرسل به مؤمنون" فالكتاب هو ما يهم لا غير. و ما سواه ثانوي هذا لو كان له اعتبار اصلا.

و كذلك مع موسى. يقول الكتاب أن موسى ذهب الى فرعون بأمرين: آيات و سلطان مبين. فقال مؤمن آل فرعون لآل فرعون " ان يك كاذبا فعليه كذبه . و ان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم" . فنفس الأمر, يقول لهم "ما يهمنا ان كان كاذبا أو صادقا في كون الآيات التي جاء بها من عند الله أم لا. ان كذب على الله فهو وحده الذي سينضر. نحن يهمنا أن الكلام الذي يقوله لنا خير". و أمثال ذلك كثير في القرآن.

فها هو القرآن يقر بكل وضوح و اختصار ما جلسنا نخوض فيه في صفحات و النتيجة واحدة, و الفرق هو الطريق.

فاذن نخلص الى أن " المهم هو دراسة الكتاب, و الحق ما ينفع الناس".

الكتاب, أي كتاب, هو مباني و معاني. فالمباني هي اللغة المستعملة في الكتابة و التعبير, و المعاني هي العلم و الأمر الذي يراد التعبير عنه. فكل كتاب يفترض في قارئه على الأقل أمرين: أن يعرف اللغة و أن يكون على مستوى عقلي يسمح له بفهم المكتوب.

و الكتاب يعبر عن المستوى العقلي لمؤلفه. و لكن حتى العبقري الحكيم قد يكتب بطريقة بسيطة حتى يوصل فكره الى عامة الناس, فمؤلف كتاب الأطفال ليس بالضرورة طفل. فالقرآن لمن اذا من الناس, هل هو لكل الناس بمختلف أحوالهم أم لا ؟

يقول القرآن " و ما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم" و لسان القرآن هو العربية, و بما أن الرسول يجب أن يأتي برسالة من نفس لسان قومه, فاذن القرآن للعرب فقط. و العربية ليست جنسية أو قبلية, و لكنها لسان, فمن فهم العربية فهو عربي. فماذا عن غير العرب؟

لا يمكن ترجمة القرآن الى لغة أخرى من حيث المباني, لأن لكل لغة خصائصها و شؤونها. بل لعله لا يمكن ترجمة أي كتاب الى لغة غير التي عبر فيها الكاتب تمام الترجمة. فالحرف في العربية مثلا قد يعني أمرين أو ثلاثة أو أكثر و كلها صحيحة باعتبارات مختلفة, فأي هذه المعاني الثلاثة سيؤخذ عند الترجمة؟ هذا غير الاشارات التي يشير اليها الحرف. و هذا في الحروف و قل أضعاف ذلك في الكلمات و الجمل. فاستحالة مطلقة أن يترجم القرآن الى أي لسان, استحالة تامة مطلقة.

و القرآن يقول " يا أيها الناس" و غير ذلك مما يدل على أن القرآن لكل الناس. فاما أنه يجب على كل الناس تعلم العربية, و هذا ليس بأيدينا فعله, فمن شاء أت يتعلم تعلم. و اما أنه على أهل العربية أن يبينوا معاني القرآن و تعاليمه بكل اللغات, و هذا هو الأحسن. و لهذا قال "بلسان قومه.ليبين لهم" مع أنه لو قال "بلسان قومه" و توقف لفهمنا بداهة أنه ليبين لهم, و لكنه لما أضاف "ليبين لهم" دل ذلك على أن المهم في القرآن هو تعاليمه و أفكاره. فعلى العرب مهمة تعلم القرآن و نشره في كل الأرض. فمثلا بسيطا, عندما يعلم الكتاب ضرورة العدل و لو على الأقارب و شروحاته على هذه الفكرة, فهذا يمكن ترجمته بسهولة الى أي لغة, و قل مثل ذلك في كل التعاليم و الافكار الأخرى.

فالقرآن للعرب أولا, و لباقي الناس عن طريق شراح العرب. و لا يجوز مطلقا ترجمة القرآن. لأن ذلك لا يمكن أصلا الا بخيانة الكتاب الأصلي. و هذا بديهي في كل كتاب, فالعالم الفرنسي الذي يكتب كتابا في القانون, يوجه

كتابه أولا للفرنسيين, ثم يأتي من يحسن الفرنسية و العربية فيترجم النص الى العربية, اما ان يترجم النص الأصلي قدر المستطاع أو يشرح فكر هذا القانوني بحسب رؤيته هو و يستشهد بكلامه لاثبات نظرياته و مقولاته.

و عرفنا سبب عدم امكان ترجمة نفس نص القرآن, لأنه يعبر بطريقة موحية و قوية و جامعة. بحيث أن الحرف الذي ينطق و لا يكتب له معاني, و رسم الكلمة نفسه له معاني, فمثلا "الرحمن" فالألف التي بعد الميم تنطق و لكنها ليست مذكورة على رسم الكلمة, و لمثل هذا معاني و أسرار, فكيف تترجم هذا ؟ و نفس الكلمة و اشتقاقها يوحي بمعاني الكلمة, فالرحمن من الرحم, كرحم المرأة. و لكن اذا ترجمت "الرحمن" الى اللغة الانجليزية مثلا فانها ستترجم الى كلمة لن يفهم القارىء منها أكثر من مجرد الرحمة و العطف, و لن يخطر على باله تعلق الكلمة برحم المرأة و علاقة ذلك باسم الرحمن. و أستطيع أن أضرب ألف مثل و أكثر على أن الترجمة خيانة كاملة او شبه كاملة في احسن الاحوال.

و لكن ما الذي يجعل ترجمة كتب المفكرين ممكنة و لكن ترجمة القرآن مستحيلة غير ما ذكرت؟ ان المفكر اذا كتب جملة فانه في أقصى الحالات يجعل هذه الجملة تتضمن ثلاثة أو أربعة افكار, و غالبا فكرة واحدة أو فكرتين. و لذلك كل من يفهم هذه الفكرة التي أراد أن يعبر عنها صاحب النص الاصلي بحكم معرفته للغة الاصلية يستطيع أن ينقلها الى أي لغة اخرى. أما القرآن فانه يحمل في كل كلمة الكثير من المعاني, الكثير جدا, بحيث انه لا يمكن اطلاقا صياغة جملة واحدة بلغة اخرى تساوي أو حتى تقترب من بعيد من الجملة القرآنية. هذا غير أن الكلمة القرآنية تحوي أوجه معانيها في نفس حروف الكلمة و رسمها في الكثير من الأحيان.

فمثلا, كلمة " رب اشرح لي صدري" . اني أضع تحديا أمام كل هؤلاء الذين يدعون أنهم يترجمون القرآن و يجيزون ذلك, تحديا في أن يترجموا فقط هذه الآية الواحدة. و اني أسمح لهم ان يترجموها ليس في جملة واحدة كما يفعلون الآن في ترجماتهم المختلفة, بل أسمح لهم أن يترجموها في صفحة كاملة بأي لغة يشاؤون. فان استطاعوا, فتعالوا نتجادل في ترجمة بقية ال 6200 آية أو يزيدون. و ان فعلوا فسنرى ان الترجمة ستكون متضاربة و مضحكة لا تليق بالقرءان.

و كمثال آخر, كلمة "بسم الله الرحمن الرحيم" . ان الآية ليست "باسم" و لكن "بسم" التي هي نفس جذر التبسم من الضحك. و أريدهم أن يوصلوا العلاقة بين " بسم الله" هذه و حقيقة أن "بسم" من التبسم, و كون أن سليمان الملك هو الوحيد الذي ذكر عنه التبسم "فتبسم ضاحكا من قولها" و هو الوحيد الذي ذكر عنه "بسم الله الرحمن الرحيم". فهل هذه مصادفة أيها العلماء؟ و هذا بغض النظر عن الأسماء الكبرى الثلاثة و شؤونها.

لا يمكن لأي دارس متعمق للكتاب الا أن يضحك حزنا على كل من يتخيل و لو في أضغاث الأحلام أن نص القرآن يمكن أن يرجم الى أي لسان.

و لكن هذا تصعيبا على الناس, فكيف تريد العالم كله أن يعرف عن القرآن و يدرسوه ان وضعت هذا الحظر؟ أولا هذا الحظر ليس حظر فقهي من عندي, و لكنه حظر علمي و قرآني. كما أنه لا يستطيع أحد أن يخرج على قانون الطبيعة كذلك هذا الحكم قانون علمي و ليس اجتهاد شخصي. و قد ضربت مثالين من آيتين فأروني من يستطيع أن يترجم. و هذا معلوم عند العلماء بالكتاب.

ثانيا, ان الذي يريد أن يتعلم الكتاب من الذين لا يعرفون العربية عليه أن يفعل كما يفعل من يريدون حقا أن يتعلموه: و هو أن يتعلم اللسان. فان كان بعض أعداء الدين كبعض المستشرقين يبذلون جهد تعلم العربية للطعن في الدين, فمن باب أولى أن الذي يريد يكسب أعظم كنز على الأرض أن يفعل ذلك. و ان رب الكتاب سييسر الطريق على من يرغب في تعلم كتابه.

ثالثا ,ان أبناء أمتنا عندما يسافرون الى ألمانيا مثلا لكي يتلقوا العلم عندهم و في جامعاتهم فان الألمان يفرضون عليهم تعلم اللغة الألمانية كشرط للتعلم عندهم. و كذلك في البلاد الانجليزية. و لا نرى أحد يشتكي من هذا القانون, لأنهم و بكل بساطة سيقولون لمن يشتكي" اذا لم ترغب في تعلم لغتنا فاذهب و تعلم عند غيرنا, فنحن لم نجبرك على الدراسة في بلادنا" فلماذا اذا قيل أن تعلم العربية شرط لتعلم القرآن العربي بدأ بعض الناس يقولون "ان الله ليس عربي و الاسلام لكل الناس"؟ من قال أن الخالق عربي أو فرنسي؟ ما هذا الاستدلال العجيب؟ نحن نقول حقيقة واقعية بديهية و هي أن القرآن عربي. هل هذا يحتاج الى فلسفة لاثباته؟

رابعا, يظهر بصورة عامة ان لكل أمة ميزة خاصة ليست في باقي الأمم, و ميزة العرب القرآن. و ان الذي يريد أن يهز جذعه بحركات ذكر الله, أو يريد أن يعلم الناس أن لا يزنوا و لا يقتلوا, فهذا لا يحتاج الى قرآن, كل أحد يعرف ذلك. و السبب الذي يجعل المسلمين يجوزون ترجمة القرآن و بقية الدين الى أي لغة هو أن الدين عندهم طقوس موجه لكائن غيبي, و ليس أفكار موجه لعقل الانسان. فالدعاء و الأذان و الصلاة و باقي الأمور نعم ما الضير في أن تكون بأي لغة طالما أنها موجه لكائن لا يحتاج الى لغات أصلا. و لكن من قال أن كتاب الله يعلم هذا النوع من الدين؟ نحن لا نعرف الله الا من كتابه, و الله و الكتاب واحد. فمن هذا الاعتبارو من هذه الزاوية نعم الله عربي. و من أراد أن يفهم علم الله فعليه أن يتعلم العربية, هذا ان شاء أن يتعلمه من هذا القرءآن.

فالأمر أهون من ان نحتاج الى كل هذا الكلام فيه. و لكن بما أن فكرة الترجمة انتشرت, و زاد ضعف الاهتمام بالعربية لسان الله, فلذلك بينا و ذكرنا بهذا.

فلا ترجمة لمباني القرءآن. و لكل عربي دارس للقرءآن أن يبين من علم الكتاب ما شاء بأي لسان.

أما من حيث المستوى العقلي للقارئ. فيقول الكتاب "انما تنذر من اتبع الذكر و خشي الرحمن بالغيب" و يقول "لتنذر من كان حيا" و يقول "و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها الا العالمون"

فالقرآن يفرض وجود أمرين في الانسان الذي باستطاعته أن يفهم علمه: الأولى هي "الذكر" و الثانية هي "العقل". و معنى ذلك أن يكون الانسان قد جعل محور حياته ذكر الخالق و التعلم الدائم, و أن يكون هذا هو الأمر الذي يعيش من أجله.

و ذلك لأنه بذكر الله يترقى قلب العارف بالتأله, فيعلم في سره الوجود الواحد "هو الأول و الآخر والظهر و الباطن" ثم بالعقل يعرف الملكوت في بحر نوره المجرد, يعرفه شهودا قلبيا مجملا و مفصلا و لكن من غير بيان, أي انه يعلم الأمور و لكنه لا يعلم أنه يعلم, أي ليس عنده الكلمات التي تصف هذا الذي يعلمه, و لكنه يشعر بالأمور أكثر من أن يشرحها بالمنطق الواضح.

فاذا كان فيه الوجود اللانهائي و نور الملكوت فقد خلق فيه الاستعداد لفهم حقائق أمثال القرءآن. لأن القرءآن انما هو كالثوب أو الجسم لهذا النور. فمن لا يرى الملكوت كيف يبحث عنه؟ هل تستطيع أن تبحث عما لا تعرف أصلا؟ و القلب الذي يتأله في النفس المتعالية و يعقل أمثال الخلق في مظاهرها الطبيعية و الانسانية مباشرة, هذا هو القلب الحي العالم الذي جاء القرءآن من أجل أن يزداد رفعة, و القرءآن للذين يريدون العلم فقط. "سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فمعنى ذلك أنهم ينظرون دائما الى الآفاق و الأنفس حتى قبل أن يعرفوا أن القرءآن هو الحق. هذه الحالة من التفكير الدائم هي التي تخلق العلماء, و القرءآن انما هو " لقوم يعلمون" و "لقوم يتفكرون" و "يعقلون" و "لأولي الالباب" الذين لا يرضون بالقشور و السطوح من الحياة و الدرس.

و في فصل قادم ان شاء الله سنذكر قواعد لفهم القرآن تجعل كل من يقيم دراسته على أساسها يفهم من القرآن أثمن ما فيه, و هي التي تجعل الانسان عالما أو جاهلا بمعيار الكتاب الذي رأيناه. فالأمر لا يحتاج الى شهادات و لا جامعات. قواعد بسيطة و عميقة تجعل كل من يرغب في تعلم القرآن يحقق رغبته.

فاذن نخلص الى أن " القرآن أولا للعرب العلماء. ثم على هؤلاء أن يبينوا تعاليم القرآن لكل الناس في العالم" و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم".

3(جمع القرءآن)

نقصد بجمع القرآن البحث في مسألتين: الأولى" هل على المؤمن أن يحفظ سور القرآن عن ظهر قلب, و هل هذا مطلوب أصلا؟" و الثانية "من الذي كتب القرآن في مصحف, و مدى صحة القصص المتداولة بين بعض الناس حول هذه المسألة؟"

أما عن الحفظ. فيقول الكتاب " و هذا كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته. و ليتذكر أولو الألباب" فالقرآن كتاب علم, نزل للتدبر. و لا يوجد و لا آية واحدة في الكتاب كله تعلم وجوب حفظ القرءآن عن ظهر قلب بالتكرار. و لكن كل الآيات تعلم وجوب تدبر القرآن و فهمه فقط, و لا يمكن للمتدبر الا أن يستقر فيه ما فهمه, فهو سيحفظ غصبا عنه-عاجلا ام اجلا. أما الذي يسير على قاعدة "التكرار يحفّظ الحمار" فهذا ليس من تعليم الله في شيء. و لما أراد الله أن يلخص سبب نزول القرآن في كلمة واحدة فانه قال "انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" و ليس لعلكم تحفظون و لا لعلكم ترددون أو تغنون. "لعلكم تعقلون" فقط لا غير.و كل خير سينتج بعد العقل.

و لكن توجد اشارة في سورة يوسف عندما قال "اجعلني على خزآئن الأرض اني حفيظ عليم" فكونه قدم الحفظ على العلم يشير الى أنه ان أراد انسان, ان أراد أن يحفظ شيئا من القرآن فيجب أن يكون بنية أنه يريد أن يتأمل في هذه الآيات في باطنه دون الحاجة الى فتح المصحف, كما لو كان يسير في الشارع أو يتمدد على البحر أو في سفر و ما شابه. فهذه هي الحالة الوحيدة-على ما يظهر- التي قد تبرر قضاء الوقت و بذل الجهد في حفظ الآيات. و بناء على ذلك فيجب أن لا يحفظ الا القدر الذي يريد أن يدرسه. و مع ذلك فالقرآن قد حفظ في كتاب, فلم يبق الا أن نعقل العلم الذي فيه .

و قد ضرب لنا الله مثلا بجماعة يحفظون و لا يفهمون بقوله "مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" و هؤلاء الذين يحملون القرءآن في ذاكرتهم, أي فائدة في ذلك؟ و ترى أكثرهم لا يفقهون شيئا مما يحملون, اللهم الا القليل القليل.

و لي قصة مع ثلاثة من الحفظة بالتكرار. فقد وضعوا في سجل انجازاتهم أنهم "حفظة القرآن الكريم" . فأردت أن أختبره و أبين لهم أنه ان لم يعقل فكل جهده هباء منثورا. فذهبت الى الأول و قلت له " تأذن لي أن أسألك سؤالا في القرآن و تسعة أعشار الاجابة لا تحتاج الا الى حفظ, و عشر فقط يعتمد على الفهم" فقال "نعم" فقلت " يقول الكتاب "اقرأ باسم ربك الذي خلق" ما هو هذا الاسم؟" فقال " أن تقول "بسم الله" " فقلت "لو أراد ذلك لقال "اقرأ بسم الله" . أعطني جوابا من تفسير القرآن بالقرآن" ففكر ثم استيأس. و كذلك مع الثاني. و كذلك مع ثالث. و

الجواب هو "الأعلى" لقول الله بعد بضعة صفحات من السورة الأولى "سبح اسم ربك الأعلى.الذي خلق" . و بالطبع لم أسأله ما معنى أن تقرأ باسم الأعلى لأنه يقينا لا هو و لا شيخه سيعرفون ذلك. جرب و اسأل بنفسك.

فاذن, الحافظ بالتكرار أشبه بالحمار. و العاقل المتدبر سيحفظه الله بالاضطرار. و هذا هو جواب المسألة الأولى.

أما كتابة القرآن. يقول الله" نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين" و "رسولا من الله يتلو صحفا مطهرة" و " و اتخذ قوم موسى من بعده عجلا جسدا له خوار" و "سنة الله في الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا" و لا تحويلا, "و كتاب مسطور في رق منشور" و "فاتوا بسورة من مثله"و "و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطه بيمينك".

فمحمد هو الذي كتب القرآن في صحف. و ثم كتب الناس منه.

و هذا يفترض أنه من البديهي المعروف. لأننا لا نعرف و لم نسمع عن رجل جعل أفكاره الشخصية التي يريد نشرها بين الناس تحت تصرف غيره. فما بالك لو كان رسول من الله يكتب كتابا مقدسا. و لكن للأسف غيّر الناس هذه الفكرة البسيطة الأولية و قالوا ما هو معروف من أن محمد كان لا يقرأ و لا يكتب, و أن "الصحابة" هم الذين كتبوا, و امثال هذه الأفكار المشهورة. فتعالوا ننظر.

القرآن نزل على محمد, و هو يعلم أن المنافقون حوله و بين أصحابه, و هو يعلم أن قوم موسى خانوه من بعده. فهل من عاقل يدع كتاب الله ليجمعه غيره و يدونه.

ثم ها هو الله نفسه يقول "رسولا من الله يتلو صحفا" فالنبي كان يتلو الصحف. و في هذا أمرين: أولا هو يستطيع أن يتلو من صحف, و هذا ضد ما يزعمه البعض من أن "أمي" تعني الذي لا يعرف التلاوة و الكتابة. و ثانيا وجود صحف مدون عليها الوحي المنزل, و هذا ضد ما يزعمه البعض من أن الوحي انما جمع في مصحف في عهد فلان و فلان بعد وفاة النبي, أو أن الوحي كان مكتوبا على سعف النخل و جلود التيوس و ما اشبه.

أي حكمة في ادعاء البعض أن محمدا كان لا يقرأ و لا يكتب؟ يقولون "هذا يثبت أن القرآن من عند الله" أقول: فهل لو جمعنا كل الانس العلماء و كل الجن الحكماء, و هل لو كان كل هؤلاء قد قرءوا كل كتب العالم, هل يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن؟! الذين يدعون أن الأمية برهان الالهية ما زالوا في الجاهلية. فعقليا الأمر واضح, اذا قلنا أن "الأمية دليل على أن القرآن من عند الله" فيمكن عكسها لتصبح " عدم الأمية تمكّن الانسان أن يأتي بمثل هذا القرآن" فمن أكبر المطاعن في القرآن أن يحتج على صدقه بجهل الرسول الذي جاء به. ها هم الناس

اليوم قد قرءوا كتب اليهود و المسيحيون و كل الديانات, و كل الفلسفات بين أيديهم, و معاجم اللغة العربية و اسرارها عندهم, و غير ذلك, فهل معنى ذلك أنهم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن؟ من وجهة نظر الله فانهم لا يستطيعون. و ها هم لم يستطيعوا. فالادعاء أن الجهل بالقراءة و الكتابة دليل على أن القرآن من عند الله هذا تكذيب لقول الله. فالحجة نفسها دليل على الجهل بالكتاب العزيز جملة و تفصيلا.

أما وصف الله للنبي بأنه "أمي" . من المعلوم أن الله اذا استعمل مصطلحا خاصا فسّره بنفسه. فأين في الكتاب كله تجدون أن "أمي" لها علاقة بكون الانسان جاهلا بأول مبادىء الانسانية؟ أين تجدون أن "أمي" تعني لا يعرف القراءة و الكتابة؟

يقولون بحسب معاجم اللغة, تأمل جيدا, بحسب معاجم اللغة اذ ليس عندهم دليل من الكتاب, " أمي مأخوذة من الأم, أي الانسان الذي يبقى على الحال التي ولدته عليها أمه" يا سبحان الله, هل هذا كان حال النبي؟! هل عقله كعقل الذي ولدته أمه؟ ام يقصدون فقط من حيث عدم القراءة و الكتابة؟ لو كان ذلك فاللفظ أصلا غير صحيح و لا دقيق. و هذا المعنى لا يوجد في القرآن كله. و القرآن اذا أطلق اسما أو وصفا مميزا فانه يفصله في مواضع أخرى كما يعلمون و يقرون.

أما "أمي" من القرآن فيفصلها قوله "قل للذين أوتوا الكتاب و الأميين" فالأميين هم الذين لم يؤتوا كتابا من عند الله. يقول الله "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم" فظاهر أن النبي بعث في "الأميين" فهل كان الصحابة و غيرهم لا يقرءون و لا يكتبون؟

أما "أمي" من المعجم. فهذا ليس القول الوحيد. بل هو رأي البعض من اللغويين و يقال ان اول من خرج بهذا الرأي هو الزجّاج. و يوجد لغويون أخرون لا يرون أن "أمي" تعني عدم العلم بالقراءة. و هذا الزجاج من القرن الثاني أو الثالث. و يوجد من قبله لغويون يقولون بقول القرآن.

فلا قرآنيا, و هو الحكم النهائي. و لا لغويا كما يدعون. لا هذا و لا ذاك يقولون أن "أمي" تعني حصار كما يدعي البعض.

و أما قول الله " و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطه بيمينك" فلا مجال فيه لما يقول البعض, بل هو ضد نظريتهم تماما و تؤيد ما نقول به تماما . لأن الآية لم تقل "و أنت لا تتلو كتابا و لا تخطه بيمينك" فلم يطلق عدم معرفته بالتلاوة و الخط, و لكن قال "و ما كنت تتلو من قبله " فاذن "من بعده" أصبح يتلو و يخط بيمينه!! و لهذا

قال "رسولا من الله يتلو صحفا مطهرة" الذي يتلو الصحف كيف يكون جاهلا بالتلاوة و الكتابة؟ فاما أن محمد كان يعرف التلاوة والكتبة دائما, و اما أنه أصبح يعرف التلاوة و الكتابة بعد نزول القرآن بحسب هذه الآية التي يستشهدون بها هم أنفسهم. و أيا كان فمحمد كان يعرف التلاوة و الكتابة. و انه لمن المؤسف أن نضطر الى الاستدلال على ذلك, و لكن أكل الميتة حلال عند الاضطرار.

و الكل يتفق على أن محمد النبي كان في قمة الكمال "الذي ليس بعده كمال" و يؤلفون في ذلك الكتب , كمال جسماني و كمال صوفي و كل نوع من الكمالات حتى انهم ليقولون أن بوله كان شريفا مطهرا يشربه بعض الصحابة للاستشفاء و يدهنون به, و سامحوني و لكن هذا ما يقوله البعض منهم. المهم كل هذه الكمالات, ثم يذهبون الى أول كمال بديهي للانسانية, القراءة و الكتابة و يقولون " لا لا هذا ليس فيه"! لا ننفك نرى العجائب عند بعض الناس.

و أول آية في الكتاب تدل على أن محمد نفسه الذي كتب بل و علم الناس كيف يكتبون القرآن. "بسم الله الرحمن" . فلو لم تكن له معرفة بالكتابة, و كان دوره مجرد النطق بالكلمة و هم يكتبون فكيف كتبوا "الرحمن" لماذا لم يكتبوا الألف و في كلمة مثل "السماء" و غيرها كتبوها؟ وأيضا في آية يقول "حقت كلمة ربك" و أخرى "حقت كلمت ربك" النطق واحد فلماذا كتبت هنا تاء مربوطة و هناك تاء مفتوحة؟ و غير ذلك كثير كثير . و علم حروف القرآن و رسمه من أكبر الأسرار و أعمقها. و كل من له علم بشيء منه يعلم يقينا استحالة وضعه الا من النبي نفسه. أو أن النبي كان يقول لهم أثناء الاملاء "اكتبوا "بسم" بدون ألف هنا , و بألف هنا" و ما أشبه, و حتى لو فرضنا ذلك تنزلا لدل على أنه على معرفة بالخط.

و يكفي ان كلمة "كتاب" قد ذكرت في القرءان عشرات بل لعلها تصل الى مئات و هي تشير الى كتاب الله, فكيف يقال انه لم يكن مجموعا في "كتاب"! بل كان مجموعا, و منشورا حتى بين الكفار الذين تحداهم ان يأتوا بسورة من مثله. و قد كان منظما و مقسما الى سور و ايات. كما تدل عليه "فاتوا بعشر سور". و كذلك فانه نزل كله دفعة واحدة, في ليلة واحدة, و ليس كما يقال انه نزل الى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على بضع و عشرين سنة. ما معنى "نزل الى السماء الدنيا" اصلا؟ و اي فائدة ان ينزل الى هذه السماء التي لعلهم يتخيلونها كانها الطابق الاول في عمارة من عمائر الدنيا. "شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان. هدى للناس" تأمل انه انزل "القرءان" و ليس بعضه. و تأمل انه "هدى للناس" و لا ادرى اي هدى و هو معلق في "السماء الدنيا". و اما قوله "فرقناه لتقرأه على الناس على مكث" فيجب ان ينظر اليه مع الايات التي تقر نزوله دفعة واحدة, فيكون المعنى: فرقناه الى سور. و هذا طبيعي يمارسه كل الناس, تجد كتابا في الطب مثلا, هو كتاب كامل, و لكنه مقسم الى فصول متعددة ليشرحها الطبيب للطلاب على مكث. فالقرءان كان كله حاضرا من اليوم الاول, مكتوبا في صحف مطهرة, و ثم نشرها النبي بين الناس. و كيف يقال ان "اسباب النزول" هي التي كانت تجعل القرءان ينزل من السماء الدنيا على النبي, و لا يوجد من اسباب النزول المزعومة هذه الا في ايات معدودة لا تشمل كل القرءان يقينا, هذا و ان قبلنا الفكرة اصلا, و ان قبلنا هذه الروايات, و ان قبلنا كون القرءان ناقص و مفتقر الى تلك القصص المزعومة, و هيهات.

فها قد جئتكم بما في كتاب الله و عرف العلماء. فنأتي بدليل اخر قاطع من باب "و شهد شاهد من أهلها". أليس عندكم في الأحاديث أن النبي أمر المؤمنين بتعلم الكتابة و القراءة , و يأمر من يعرفهما حتى من المشركين بأن يعلم المسلمين لكي يفك أسره؟ فهل نسي النبي قول الله "يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" "أتأمرون الناس بالبر و تنسون انفسكم"!

فاذن محمد كان يتلو و يكتب. بل هومن أحسن الكتاب.

أما في تدوين القرآن في صحف في عهد النبي نفسه. فالكل يقرون بأنه كان مكتوبا كله. فهذا محل اتفاق. و لكن البعض يقولون أنه كان "مفرقا في أماكن عدة. و لم يكن مكتوبا على صحف محترمة و لكن على حجارة و سعف نخل و جلد الحيوانات و ما أشبه من الوسائل البدائية. ثم يقولون أنه بعد حدوث معركة ما بعد نحو سنة أو سنتين من وفاة النبي قرر أبو بكر و عمر أن يجمعوا هذا القرآن المفرق خشية من "ضياع القرآن بموت القراء الحفظة, أو الكثير من القرآن"

دعونا نحلل هذا الكلام, بالرغم من أني لا أحب أن أضيع الوقت في كلام أعلم جيدا أنه مختلق لجعل بعض الشخصيات آباء مقدسين و أبطال و مرجعيات. و لكن دعونا نغض الطرف عن هذا قليلا, خاصة و أن هذه الأفكار تستحوذ على عقول المئات من الملايين من الذين يؤمنون بهذا القرءآن.

يظهر أن المقولة تستند الى أمور: أولا عدم توفر صحف محترمة من الذي يكتب عليه الناس عادة في ذلك الزمان. و ثانيا عدم جمع النبي لهذه "المتفرقات" في مكان واحد و في كتاب واحد. و ثالثا أن الخشية من موت حفاظ القرآن هي التي قدحت فكرة جمع القرءآن. فتعالوا ننظر في هذه الأفكار واحدة واحدة.

أولا "عدم توفر صحف" . لعل الذي اختلق الرواية لا يعلم أن الورق قد اكتشف قبل أن يخلق النبي بقرون, و كل تراث الهنود و أهل الصين و اليونان و اليهوذ العبرانيين و اليسوعيون و حتى معلقات امروء القيس كانت مدونة على ورق محترم. و هذه كلها مجلدات ضخمة متقنة, و كثير منها قبل بعثة النبي بقرون تقل او تكثر. و قد كانت مكة ملتقى تجار الشام واليمن و العالم القديم. و قد كان النبي يرسل صحابته الى ملوك الفرس و الروم و مصر و الحبشة و اليمن, و قد كان يوجد من الصحابة من بماله وحده استطاع أن يجهز جيشا كاملا بحسب ما يروي الناس أنفسهم. فأين الصعوبة بعد كل ذلك في أن يشتري النبي ورقا محترما يليق بأن يكتب عليه أعظم كتاب نزل من السماء؟

و العجيب أنه بعد وفاة النبي بسنة أو أكثر, في عهد ابوبكر, توفر هذا الكبريت الأحمر للمسلمين و استطاعوا أن يدونوا القرآن على صحف محترمة! لا يغضبني الكلام التافه بقدر ما يغضبني تصديق الملايين له بل الاستماتة في الدفاع عنه. و كل يعمل على شاكلته.

ثم ألم يكن اليهود جيران النبي؟ ها هي كتبهم و كتب أحبارهم تملأ المجلدات و قد كتبت قبل أن يخلق النبي, و حسبك من كتبهم بالتلمود الضخم. أتراهم كانوا يكتبون كتبهم على سعف النخل و جلود البهائم؟ أم في صحف و قراطيس و ورق محترم يليق بكتاب مقدس؟ هل كان صعبا على النبي أن يشتري منهم صحف محترمة ليدون عليها الوحي الذي أمره الله بتبليغه الى الناس؟ أيستطيع أن يغزوهم و لا يستطيع أن يشتري منهم صحائف!

ثم أليس في سيركم أن الصحابة لما ذهبوا الى كسرى قالوا فيما قالوه "و نخلف فيكم كتاب الله"؟ لا أظن أنهم كانوا سيعطونهم كومة من الحجارة و الخشب, أليس كذلك؟

ثم عندما بعث النبي رسله الى الملوك, و بعث معهم رسائل مخطوطة, هل كانت هذه مكتوبة على سعف النخل؟ ظاهر انها لم تكن كذلك. أليس من الأولى أن يحتفظ بها لكتابة القرآن. و بما أنكم تصورون للناس أن الجزيرة العربية كانت تعاني أزمة اقتصادية منصبة على الورق المحترم, ألم يكن النبي يستطيع أن يقول لرسله الذي ذهبوا الى كل مكان " اشتروا لنا بعض من الورق لكي نكتب عليه القرآن بدل هذه الحجارة و سعف النخل, اذ لا يوجد ورق محترم في كل جزيرة العرب التي كانت تستورد كل أنواع البضائع حتى من الهند"؟! الا لو قلتم أن العالم كله آنذاك كان يمر بأزمة ورق, فعندها لنا كلام آخر.

ثانيا "عدم جمع النبي لهذه المتفرقات" . لقد عصرت عقلي كثيرا لأحاول أن اختلق و لو حكمة واحدة تجعل النبي يدع القرآن مفرقا بين الناس فلم أجد. أو قل أن أجد سببا واحد جيد لكي يقول الناس مثل هذا الكلام. وقد وجدت نفسي أكثر اهتماما بكتاباتي من اهتمام النبي بالكتاب الذي أعطاه اياه ربه. لأني اجمع كل ما اكتبه في مكان واحد في غرفتي الشخصية, حتى اني لا أسمح لأخي أن يبقي حتى ورقة واحدة في غرفته التي لا تبعد عن غرفتي الا بضع خطوات, خشية أن يضيع شيء منها, أو ينسكب الماء على ورقة فيتلفها, أو تأتي دودة او داجن فتأكل الورقة! فاني لا أستطيع أن أتصور عاقلا له اهتمام بكتاباته الشخصية يدع رسائله و مقالاته مفرقة بين اخوانه فضلا عن ان يفرقها بين من فيهم الغرباء و المنافقين " و من أهل المدينة مردوا على النفاق. لا تعلمهم" ألم يحسب حساب المنافقين الذين قد يغيرون بعد وفاة النبي و بذلك تضيع الاجابة الصحيحة الى الأبد؟. هذه الفكرة لا أساس انساني و لا قرآني و لا عقلي لها.

ثالثا " ضياع القرآن بموت القراء في المعارك" يقولون أن حفاظ القرءآن لما استحر فيهم القتل في معركة ما خشي رجل أن يضيع شيء من القرآن بموت هؤلاء, فنادى بجمع القرءآن.

هل لو لم تقم أي معركة, و لم يقتل أحد من القراء لا في معركة و لا في غزوة, هؤلاء القراء أما كانوا سيموتون ميتة طبيعية؟ و أليس بهذا الموت الطبيعي كانوا أيضا سيأخذون معهم ما يحفظون من القرآن؟ فلماذا انتظر النبي أو الخليفة الحكيم حتى تقع المعارك ليجمع القرآن؟ و كأنه كان يعتقد أن هؤلاء مكتوب لهم الخلد الا باستثناء واحد و هو أن يقتلوا في معركة!

فكما عودنا دائما الذين يختلقون الروايات, يستعجلون في الاختلاق حتى يأتي كلامهم ضعيفا متناقضا مثلهم و مثل من يصدقهم.

و تأمل في الكلمة التي رددها زيد بن ثابت بحسب الرواية على ابوبكر و عمر بعد أن أمروه أن "يجمع القرآن" قال لهم " و كيف تفعلون أمرا لم يفعله رسول الله!" و يذكر ذلك و كأنه أمر عظيم جدا. نتساءل: ما هو هذا الذي لم يفعله رسول الله؟ كتابة القرآن؟ لا يمكن لأن القرآن كان مكتوبا باتفاق الكل. الا أن الاختلاف هو في كونه مجموع في حزمة واحدة مشدود عليها خيط. فهل من العظمة بمكان أن تجمع الصحائف المتفرقة و يشد عليها خيط؟! و هذا يعتبر أعظم من "تحريك الجبال" عند زيد! فتأمل في عزيمة جامع القرءآن هذا!

"اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه...و لا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا" اتسائل لماذا يكلفهم بكتابة الدين الصغير و الكبير ان كان الحصول على الصحف و الورق المحترم نادر كندرة الكبريت الاحمر.

يكفي ما قلناه لتبيين وهن هذه الأفكار. و هل عودنا الذين هجروا القرآن الا هذا. و لا قوة الا بالله.

القرآن نزل كله في رمضان. و كتبه النبي في صحفه الخاصة. ثم ينسخها الناس في حضرته. هذه هي خلاصة المسألة الثانية. " و الطور. و كتاب مسطور. في رق منشور. و البيت المعمور" .

دعونا نختم هذا الفصل بذكر أمرين: كتابة القرآن و نشره. و نقد رواية جمع عثمان للقرآن. حتى نكون قد أوفينا الفصل حقه.

(1)يقول الله " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " و يقول "انا أنزلناه في ليلة" . و لم يقل " شهر رمضان الذي أنزل فيه من القرآن" و لا "بعض القرآن" و لا "ينزل فيه القرآن" و لكن "أنزل فيه القرآن" فاذن القرآن كله نزل في ليلة القدر دفعة واحدة .مرة واحدة

و هذا النزول هو الذي فصله الله في سورة النجم المباركة " ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى الى عبده ما أوحى" و الذي أوحى هو الله بجبريل رسوله كما قال "أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء".

ففي هذه الليلة المباركة أصبح القرءآن كله في قلب محمد النبي. فبدأ يكتب في صحف كما أراه الله. ثم اذا أراد أحد أن ينسخ القرءآن فانه ينسخه في حضرته أساسا, ثم يعرض عليه ما نسخ و يتأكد أنه نسخ نسخا دقيقا تاما.و من المخلصين مع النبي من كانوا يعينوه على ذلك و هم الذي كانوا يقومون الليل معه " وطائفة من الذين يقومون معك".

و صحف القرءآن كانت منشورة حتى بين غير المؤمنين. و لذلك كانت بعض ردودهم على النبي بحسب ما جاء في القرءآن من قصص أو أفكار كقولهم "أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا" المأخوذة من القصة التي تذكر هذا العذاب الذي نزل على مكذبي الرسل. و هذه الردود ردود دائمة و ليست حوادث تاريخية فقط, فالمكذبين بالقرآن سيقولون نفس الشيء تماما في كل زمان. و هذه من أعظم تنبؤات القرآن التي تدل على علمه العميق بالعقل الانساني. و السر فيها أن القرآن يعلم ثمرات عقول الناس. كمن يرى بذرة تفاح فيتنبأ و يقول أن هذه الشجرة ستخرج تفاح. فهو علم عميق, و الواقع مصداقه. و هي من آيات المسيح الذي يقول "و أنبئكم بما تدخرون في بيوتكم" .

فالقرآن من يومه الأول كما قال الله " و الطور و كتاب مسطور في رق منشور" و ليس حكرا على أحد, و لم يوضع في بيت أحد من دون الناس, و ليس المسؤول عن حفظه فلان أو فلان. القرءآن كتاب مسطور منشور لكل من يرغب أن يسمعه و يقرأه.

و لا يأتي أحد و يقول لنا " ائتنا بدليل تاريخي على صدق كلامك" لأني لن أبذل هذا الجهد بعد أن كشف لنا الله عن الجواب. و أيضا لأن كتب التاريخ هذه أنتم الذين كتبتوها و جعلتم فيها ما تشاؤون. و أبسط دليل على ذلك أن كتب تاريخ الشيعة غير كتب تاريخ السنة, فالشيعة يذكرون "حوادث تاريخية" لا يمكن أن يقبل بها السنة بل لا يرون انها وقعت أصلا, و العكس كذلك. ثم ان مصدر كلامي و استدلالي هو كتاب الله ربنا, فلا حاجة لنا أن نرجع الى غيره, و أظن أن الذي يؤمن بالله و كتابه يجب أن يكون هذا هو موقفهم " انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى

الله و رسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا و أطعنا" . و لو شئت ان اخرج من كتبكم ما يؤيد هذا لفعلت بعض التأييد بفعلت و لكن لا اطيل, و حسبكم قصة اسلام عمر بن الخطاب دليلا على ان القرءان كان يدون في صحف من البداية. و لن اقدم غير هذا اذ من لم يقتنع بما فات لا يقنعه غيره " و ان يروا كل اية لا يؤمنوا بها" فلا نضيع وقتنا معهم.

(2).نقد رواية جمع عثمان و توحيده للقراءات

حسب قول البعض فان سبب جمع عثمان للقرءآن هو توحيد القراءات. و يقولون أن عثمان وحد القراءات بمصحفه. و كما نعلم فان نقد السبب هو مقدمة الفهم. فتعالوا ننظر في هذا السبب.

ما هو سبب اختلاف القراءات؟ هو عدم وجود تشكيل و تنقيط للكلمات. أي عدم وجود نقاط على الحروف و الحركات كالفتحة و الضمة و علامات الوقف و ما اشبه. فتوحيد القراءات لا يمكن أن يتم الا اذا وضع تشكيل محدد للكلمات. و بما أن التشكيل لم يوضع الا لاحقا باقرار الكل, حتى بعد عهد عثمان, فكيف يدعون أن عثمان وحد القراءات بكتابة مصحف, مصحف غير مشكل؟! توحيد القراءات مع عدم وجود تشكيل على الكلمات استحالة و تناقض لا يمكن حله. و بناء على هذا التناقض الكامن في جذر هذا السبب, فهذا يعني أن السبب كله باطل و بالتالي القصة كلها باطلة, فهي اذن من وضع نفس السفيه الذي اخترع التي قبلها أو أخوه.

يظهر حتى في هذه الرواية أن الذين قاموا بجمع القرءآن ليس فيهم علوي واحد. زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و رابع لا أعرف من هو أصلا و لا أظن أن تسعة أعشار المسلمين يعرفون عنه شيء. و عبد الله بن الزبير هذا كان صبيا عندما توفي النبي, فكيف يعقل أن يجعل هذا الصبي مشرفا على جمع القرءآن! أين علي ابن أبي طالب, أين الحسن و الحسين, أين كبار الصحابة, أين عبد الله بن مسعود أعلم الناس بالقرءآن على حد قوله, هل يترك كل هؤلاء و يؤتى بصبي,و أي صبي, صبي كان السبب في رمي هذه الكعبة بالمنجنيق لأنه أراد السلطة!

فكما نلاحظ في قصة جمع أبي بكر و عمر, و قصة جمع عثمان, لا يوجد ذكر لا لعلي ابن أبي طالب و لا لأحد من أبناءه أو أحد من المقربين للنبي و كبار المجاهدين في الله من امثال عمار بن ياسر و ابو ذر الغفاري و سلمان الفارسي بل و لا حتى ابن عباس الملقب بترجمان القرءان و حبر الامة. و لكن يوضع فيها الشاعر و الصبي. فهل نحتاج أن نقول أن واضع هذه القصص فيه نية معينة لا علاقة لها بدين الله؟

و نلاحظ أن في كلتا القصتين كان سبب الجمع واحد, من موقف واحد, من رجل واحد الى رجل واحد.

فالأولى بسبب موت القراء, و الموقف معركة, و الرجل صحابي الى الخليفة. و الثانية بسبب اختلاف القراء, و الموقف أيضا حول معركة, و الرجل صحابي الى الخليفة. أهذا من قبيل المصادفات! يظهر أن المختلق وضع كلتا القصتين في ساعة واحدة أو قل في بضع دقائق اذ لم يبذل جهدا في التلفيق يشكر عليه!

هذا التبسيط المبالغ فيه و المتشابه الى حد بعيد أو قل المتطابق تماما, يدل على أن هذه القصص السخيفة كانت موجهة الى أناس من عقلية بسيطة. فالعوام يفضلون تفسير كل شيء بسبب واحد, و عاطفي فلاحظ أن عمر انفعل من "موت القراء" و قال للخليفة "ادرك هذه الأمة" و حذيفة بن اليمان أيضا انفعل من "اختلاف القراء" و قال للخليفة "ادرك هذه الأمة" ماذا حصل لعقول الناس حتى لا ترى هذا! و من المعروف في الأمور الواقعية هو تعدد الأسباب و تعدد المواقف و تعدد المطالبين, خاصة في الأمور المهمة. و هذا دليل أعمق على أن الاختلاق استهدف عقول البسطاء من الشعب. أما أصحاب العقول, فلعلهم لم يستطيعوا أن يخالفوا حفظا لأنفسهم أو لانطلاء الأمر عليهم اذ تمحيص أمثال هذه المسلمات و الأحاديث "الصحيحة" كان أمرا شديد الخطورة بل لعله كذلك حتى اليوم. و بالطبع يوجد دائما عند الفقيه الملاحظ "سد الذرائع" الذي يمنعه من تبيين ما قد يزعزع ثقة العوام بأمور اعتقدوها مسلمات دينية لأن ذلك باب يجعلهم يضعوا كل شيء تحت المجهر. و هذه "فتنة" وقاهم الله شرها!

و نلاحظ أن شرف "حفظ" القرآن نسب الى أبي بكر و عثمان. و لعمر من بعيد. أما علي فلا شيء. فما سر هذا الأمر؟ و اترى ان هذه ايضا مصادفة اخرى؟!

من المعلوم أن أبو بكر كان معرضا للطعن فيه بسبب موقفه من علي بن أبي طالب و فاطمة بنت محمد النبي و مسألة الخلافة. و معلوم أيضا غضب فاطمة عليه حتى انها توفيت و لم يصلي عليها لأنها أمرت أن لا يعلم أحد بموتها في تلك الليلة. زد على ذلك ما يسمى بحرب المرتدين, الذين لم يكن ذنب كثير منهم الا أنهم رفضوا اعطاء زكاة أموالهم لابي بكر لأنه لا ينطبق عليه وصف القرآن "و صل عليهم ان صلاتك سكن لهم" و لا ننسى أن هؤلاء "المرتدين" يعتبروا صحابة بحسب التعريف الواسع للصحابة الا أنهم لما خالفوا أبو بكر فالى جهنم و بئس المصير. فمهما كان, المهم أن أبو بكر معرض للطعن, و الطعن في أبي بكر يعني الايمان بعلي و العلويين, أو على الأقل هكذا كان الأمر عموما في تلك الأيام. فالذين يريدون هدم دعوى العلويين في الخلافة يجب عليهم أن يطعنوا في أصل دعواهم, التي هي حق علي في الخلافة, فأبناء علي انما ادعوا ذلك بسبب حق أبيهم. فيجب اذن هدم الدعوى من قاعدتها. و ذلك بالانتصار لأبي بكر.

و لكن كيف ننتصر لأبي بكر و نجعل الناس لا تجرؤ على التجريح فيه؟ نعم فلنربطه بالقرآن, نعم هذا هو الحل. فلنجعل الطعن في أبي بكر يساوي الطعن في القرءآن. و لذلك اذا جاء أحد و طعن في أبي بكر سيقول عنه أهل هذا الحزب المسمى نفسه "السني" فورا أنه "زنديق يطعن في القرءآن" لماذا؟ لأن أبو بكر لو كان مطعون فيه لكان

معنى ذلك أنه يجوز أنه غير شيء في القرءآن أثناء جمعه. و هذا تماما هو الذي دفعهم الى اختلاق هذه القصص التي يكذبها كل شيء بل و تكذب نفسها بنفسها.

أما عثمان, فحتى بعض أهل السنة في الزمان القديم كانوا يقدمون علي بن أبي طالب عليه. و ذلك لتخلفه في كثير من الأمور. مثل تقديمه لأقاربه في مناصب الحكم, و جلده لكبار الصحابة المسلمين المخلصين, و نفيه لبعضهم, و غير ذلك. فهو عرضة للطعن أكثر من أبوبكر خاصة عند عامة الناس الذين لا يفهمون أمور السياسة و الخلافة و ليس لهم الا الظاهر. و لذلك احتاجوا أن يقدسوه هو الآخر و يبنوا حوله حصن منيع. و هل يوجد أحسن من أن نربطه هو أيضا بالقرءآن؟ فاختلقوا هذه القصة الواهية التي يكذب أولها آخرها. و بذلك أصبح الى يومنا هذا كل من يطعن في عثمان فهو خبيث يريد أن يطعن في القرءآن.

أما عمر فلم يحتاج أحد أن يختلق له شيء كهذا, لأنه كان قوي في نفسه و شديد في أمر الحكم, و استولى على البلدان و جعل الناس أثرياء و قهر الكفار , و طبعا هذه الأمور تكفي لجعل الرجل مقدسا في أعين الناس.

و أما علي فحتى لو طعن الناس فيه, أو قللوا من شأنه, فلا بأس لأنه لا علاقة له بأصل الدين, القرءآن. فنحن في غنى عنه. فلو فرضنا أن علي و أبناءه لم يخلقوا فهل سينقص من الدين شيء؟ لا, بل سيزداد الناس وحدة تحت مظلة أهل السنة و الجماعة و الحمد لله. هذا ما يريده الذين اختلقوا أمثال هذه القصص و لذلك لم يبالوا به و لم ينسبوا اليه أي شيء له علاقة بأصل القرءآن. فكما رأيت ففي كل قصص جمع القرآن المزعومة هذه لا تجد ذكرا لعلي و لا لأبناءه.

لقد أطلنا الحديث, و دخلنا في بحث تاريخي كنت أفضل لو لم أضمنه في هذا المدخل للكتاب العزيز الذي يتعالى عن هذا النوع من الوهم و التخرصات و التكهنات التاريخية. ولكن كان من الضروري أن أعالج هذه المسألة في هذا الباب حتى لا نترك من كان يعتقد أن هذه القصص و الأفكار مسلمة يقبلها الكتاب و العقل النقدي. و لكن الحمد لله انتهينا من ذكر أمثال هذه اللحوم الميتة. فأشكركم على هذا الصبر.

4(اصلاح المصحف)

ثلاثة أمور يجب أن يجعل عليها المصحف حتى يتم من حيث الظاهر: الأول "التشكيل" و الثاني "الترتيب" و الثالث "التكبير" .

أولا " التشكيل و التنقيط" . القرآن عندما كتبه محمد النبي لم يكن عليه تشاكيل, كالفتحة و الضمة و التشديد, و لم يكن منقطا. فحرف الباء مثلا يمكن أن يكون باء أو تاء أو ثاء. هكذا.

و من الأسباب لذلك هو لفتح باب الدراسة على أكبر قدر ممكن. و لتتوسع عقول الناس عندما يحسبون الاحتمالات و يرون العلم و يرجحون بالبراهين. أما بالتشاكيل فالقرآن ينحصر في معنى واحد فقط. و هذا ما لم يفعله الله و رسوله.

و من أهم الأسرار هو كون القرءآن يمثل الواقع. و الواقع ليس له شكل واحد, فالحادثة الواحدة قد تفهمها أنت على نحو و أخر على نحو آخر, فالتفسيرات الكثيرة للواقع توازي التفسيرات الكثيرة التي تنتج عن عدم تشكيل القرءآن.

و من ثمار حصر كلمات القرءآن بالتشكيل هو انقلاب المؤمنين الى دعاة الحقيقة المطلقة و اليقين المطلق بكل شيء عندهم, حتى انهم فاقوا النبي الذي يتبعونه القائل "و قل ما أدري ما يفعل بي و لا بكم" و القائل"و اني أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين" أما هم فيعرفون كل شيء بيقين لا يختلف عليه اثنان.

و بما أن القرءآن الأصلي لم يكن عليه تشكيل أو تنقيط فيجب أن يعود الى حاله الأول, لماذا هذا الابتداع في كتاب الله؟ لماذا و هم من المفترض أنهم قوم يحاربون البدعة أينما ظهرت؟ و كون القرءآن الأصلي غير مشكل أو

منقط ليس رأي شخصي, بل هو الواقع الذي يقر به كل العلماء و الناس. و اذا فتحوا باب تبرير بدعة فان كل البدع ستبرر.

و قد طبع القرءآن بحسب مذهب الذين يطبعونه, و هذا من العبث في الكتاب العزيز. فمثلا, قول الكتاب في سورة آل عمران " و ما يعلم تأويله الا الله و الراسخون في العلم" لو فتحت قرآنا يطبع في بلاد تدين بالمذهب القائل أن "الراسخون في العلم" لا يعلمون تأويل القرءآن, فانك ستجد بين كلمة "الله" و "الراسخون" تشكيلة أو رمز يدل على وقفة. و لكن لو فتحت قرآنا يطبع في بلاد تدين بعكس ذلك فلن تجد هذه الوقفة أو على الأقل لا يقرونها. و لايخفى على أهل الاستبصار الدوافع السياسية و الكهنوتية وراء مثل هذه الاعتقادات, و ليس هنا محل تفصيل ذلك. المهم و الشاهد هو أنهم أسقطوا عقائدهم الشخصية على القرءآن. لا يهم هل هي عقائد صحيحة أو خاطئة, المهم أن القرءآن لا يحوي شيء من هذا و يجب ان يكون مجردا و هم قد وضعوا هذا الشيء. فهل هذا من التحريف أو من التخريب أو من التدخل في الوحي بغير حق؟

و مثل آخر هو آية الطهارة " فاغسلوا وجوهكم و أيديكم الى المرافق. و امسحوا برؤوسكم و أرجلكم الى الكعبين" . فكلمة "أرجلكم" عند البعض تراها مشكلة بالفتح أو النصب, أي معطوفة على "وجوهكم و أيديكم" فيكون الحكم غسل الرجل كما يفعل أهل السنة. و عند البعض الآخر مشكلة بالكسر أو الجر, أي معطوفة على "برؤوسكم" فيكون الحكم مسح الرجل كما يفعل الشيعة. و هكذا هذا الاختلاف الفقهي و الذي أيضا له دوافع أخرى و ليس محض اختلاف ظاهري كما يظن البعض, أسقطوه على كتاب الله. و لعل تسعة أعشار الذين ينظرون في الكتاب يظنون أن التشكيل من صلب الكتاب, و ما هوالا اسقاط بعض من لهم سلطة سمحت لهم بفعل ما يشاؤون.

و هكذا استعمل التشكيل عامة لتسطيح العقول و تحويل القرءآن من كتاب دراسة الى موسيقى و غناء. و أيضا لفرض الآراء الشخصية و المذهبية و جعلها عين الحكمة الالهية. و ينحى التشكيل منحى واضحا خبثه كما في قوله " و اذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها" فكلمة "أمرنا" في المصحف المطبوع الان ليس عليها تشديد على الميم, فيدل ذلك على أن الله هو الذي يأمر المترفين , و لكن نسوا أن الله "لا يأمر بالفحشاء" . و لكن في قراءة أخرى ترى الميم مشددة, فيدل على أن الأمراء المترفين هم سبب هلاك القرى. و لا شك أن الأمراء المترفين لم يرضوا أن يوضع هذا التشديد الذي سيجلب عليهم شدة لا يريدونها. فترى المصحف قد أخذ الشكل الأول بالرغم من مخالفته لتعليم الكتاب بالمقارنة و البحث عن المصاديق في الواقع.

في بعض الاحيان قد يكون الفرق بين التحريف و التشكيل هو كالفرق بين الربا و الفائدة, نفس الجوهر مع اختلاف الاسم, و الاسم لا يغني من الحق شيئا.

و من ثمار التشكيل الأخرى هو انقلاب القرءآن الى كتاب للتغني بدل من كتاب للدراسة العلمية الروحية. فأصبح القرءآن يحفظ في الصدرو و يتغنى به في الصلوات و الحلقات و المآتم و الجنازات و المناسبات و المؤتمرات, و لو لم يشكلوه لما استطاعوا أن يفعلوا ذلك. اذ كيف سيغنوا بدون تشكيل؟ فعندها يصبح الكتاب كما كان عند محمد النبي, كتاب للدراسة المقدسة العميقة و الاصلاح.

و العقل الذي تعود على دراسة الاحتمالات, و التحليل العميق المتفرع عن وجود الاحتمالات, هو عقل واقعي جبار ينفع الناس و يوسع النظرة للحياة. و يصبح البحث عن الأنفع كالغريزة في عمق قلبه. و أما العقل الذي تعود على شكل واحد و وجه واحد و حكم واحد فهذا لم يعرف من الحياة شيء. و لذلك ترى "المسلمين" اليوم يقبلون على علوم الذين جعلوا عقولهم لا تقف عند حد الا البحث عن الأنفع للناس. "فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"

و الأمر في التنقيط أهون بكثير. لأن الكلمة في أكثر الأحيان لا تحتمل الا نوع واحد من التنقيط أو اثنين. فكلمة مثل "تذكرون" قد تقرأ "يذكرون". و هكذا بدراسة المعاني الناتجة من اختلاف الشكل تنبثق معارف كثيرة.

و بما أن الناس لم يعتادوا قراءة كلمات غير منقوطة, فمن الأحسن لو أبقينا النقاط كما هي في المصحف, و لكن بشرط واحد, و هو أن يعلم كل الناس أنه يمكن أن توجد احتمالات أخرى في القراءة, فكأن التنقيط الحالي أحد الأوجه.

و لا نستطيع أن نقول نفس الشيء في التشاكيل و الرموز, لأن الكل معتاد على القراءة بغير تشاكيل و رموز, كما أنك تقرأ هذا الكتاب الآن. ثم هذه الرموز نفسها لا تنبع الا من اجتهاد أو مصالح شخصية و يجب أن يكون محلها هو كتب التفاسير و الشروحات و ليس نفس كتاب الله الذي يجب أن يبقى مجردا كالماء الصافي. و بعد فترة عندما يعتاد الناس على دراسة الكتاب يمكن ازالة التنقيط أيضا. و عندها يكون الكتاب قد اكتمل من هذه الناحية الشديدة الأهمية.

و اضعف الايمان هو ان يوجد قرءان كامل تماما و مجرد تماما من اي تشكيل, ثم يوجد ايضا قرءان بتشاكيل فمن شاء ان يرجع الى الام الأصلي رجع اليه و يكون هو الأصل في دراسته, و يكون القرءان المشكل هو احد الاحتمالات. و هذا ضروري جدا ان يتم فورا ممن يستطيعه, اي ان يوجدوا قرءانا مجردا صافيا.

فاذن أول اصلاح للمصحف هو تطهيره من الرموز و التشكيل و التنقيط.

و لكن يوجد بعض الانتقادات المهمة لهذا الرأي السابق. و يكن تلخيصها في فقرات:

عدم وجود قراءة أو قراءات معينة, اي تشكيل معين واحد او عدد محدد من التشكيلات, سيؤدي الى صعوبة قراءة القرءان لحد كبير. بل انه يجعل كل اية من القرءان تصبح كلغز لا يوجد سبيل الى حله الا بالتكهن المحض. فاذا جردنا اية بل ليس فقط اية قرءانية بل حتى اذا أتينا بأي جملة عربية و كتبناها مجردة عن كل تنقيط و تشكيل و لم يكن يوجد قارئ يدرك القراءة الصحيحة لهذه الجملة ثم أعطينا أعلم الناس باللغة و العلوم هذه الورقة, فانه لن يجد طريقا يقينيا لادراك المقصود من هذه الجملة, فحتى لو صدف ووقع على المعنى المقصود للكاتب فانه لن يجد أي برهان موضوعي لاثبات ان هذا هو مقصود الكاتب, و لن يكون أمامه الا سبيل التكهن و اللهم شئ من القرائن. فالكتاب الغير منقوط أو مشكل الذي ليس معه قارئ فانه يساوي العدم في الحقيقة. و أحسب أن مقولة عمر بن الخطاب "اذا اتاك كتاب بغير قارئ فاغسله بالماء" او كما قال عمر, ينطلق من نفس هذا المنطلق الذي شرحته. ففي تلك الايام لم تكن الكتابات منقوطة أو مشكلة, و الطريقة الوحيدة لمعرفة المقصود من الكتاب هو بوجود قارئ أخذ قراءة الكتاب عن الكاتب الأصلي في نهاية السلسلة. فان لم يوجد القارئ و كان التكهن مرفوضا فان النتيجة هي وجوب غسل الكتاب بالماء, اي مسحه و ازالته و الحاقه بالعدم. فاذن: الكتاب بدون تشكيل مكتوب أو منطوق لا ينتج علما بالمقصود.

قال الله تعالى " و لقد يسرنا القرءان للذكر فهل من مدكر" و كرر ذلك كثيرا في ظاهر الايات كما هو معلوم. و لاحظ انه قال "يسرنا القرءان للذكر" و لكن ليس للفكر. فالتفكر في القرءان يحتاج الى مجاهدة اذ دخول الجنة و بلوغ مرتبة الامامة لا يتحقق الا بشروط أهمها المجاهدة و المصابرة. فاختيار الله تعالى لكلمة "للذكر" له دلالة مهمة. فالذكر أساسه اللسان, و هو في رتبة التلاوة الظاهرية في الأصل. فان كان القرءان بدون تشكيل مكتوب أو منطوق فانه سيكون أعسر كتاب وجد على هذه الارض, سواء من ناحية التلاوة و الذكر أو من ناحية الدراسة و الفكر. و ما يهمنا في هذه الفقرة هو مقام التلاوة و الذكر اذ هو المقدمة و الفاتحة لما بعده. ففضلا عن أن العسر و المشقة مرفوعة في أصل الشرعة و الشريعة, فان رفع العسر و المشقة في تلاوة كتاب الله تعالى هو أولى الأولويات على الاطلاق اذ كتاب الله هو باب دين الله. و تصريح الله تعالى بأن القرءان ميسر للذكر كاف للدلالة على هذا الأمر. و ظاهر أن أي نص مكتوب بدون تشكيل هو نص عسير. و ان يسر ظاهر نص القرءان و الحاجة الى المجاهدة لدراسته و التفكر فيه هو عدل و توازن بين اليسر و المجاهدة, و قد عودنا الله تعالى أنه اذا صعّب شيئا من جهة يسره من جهة أخرى, فان مع العسر يسرا. و أما أن يكون ظاهر النص عسير و باطنه أيضا عسير فهذا مخالف لسنت الله و أمره, بل مخالف لمقتضيات الرحمة. فاذن: الكتاب بدون تشكيل مكتوب أو منطوق هو عسر في عسر.

و أما الانتقادات الخمسة التي ذكرتها في مطلع هذا الباب فأيضا يمكن نقدها:

اما الرغبة في فتح العقول للاحتمالات بتجريد الكتاب من التشاكيل كلها, فان هذا لن يفتح العقول على الاحتمالات بقدر ما سيعدم القرءان و يجعله قابلا تقريبا لكل الاحتمالات, و معلوم أن "كل الاحتمالات" تساوي "عدم الكتاب". و بوجود تشكيل معين للكتاب أيضا يمكن أن تنفتح العقول على احتمالات كثيرة و هي عندما نسعى لفهم الحكم و الأسرار و المعاني من وراء النص. فكون النص عميقا وواسعا لا يعتمد على تجريده من التشاكيل, فكم من كتاب كتبه انسان بعقله المحدود و مع ذلك نجد أن النص شديد العمق و السعة حتى ان دراسته تفتح العقول و تشرح الصدور. يعرف هذا بالتجربة من أدمن دراسة الكتب عموما. فكل نص غير محدود. فمجرد غياب الكاتب كاف لفتح افاق النص لمعاني كثيرة جدا و احتمالات كثيرة جدا. فاذن لا يوجد علاقة مباشرة ضرورية بين الرغبة في فتح العقول و فتح نص القرءان للاحتمالات و بين الغاء التشاكيل. و أصدق دليل على ذلك هو اختلاف الفرق الاسلامية في الماضي و الحاضر حول معاني القرءان بالرغم من أنهم كلهم تقريبا يقرأون من نص المصحف و بنفس القراءات عموما. و يكاد الاختلاف بينهم في فهم الاية القرءانية الواحدة ذات التشكيل الواحد يكاد يصل الى حد عظيم حتى ان المعنى عند دارس يكون في الشرق و معنى عند دارس اخر يكون في الغرب و معنى عند دارس ثالث يكون لا شرقية و لا غربية. و ايضا هذه الحقيقة الواقعية معلومة عند كل من تعاطى دراسة التفاسير المتعددة و المقارنة بينها. فاذن هذا الانتقاد لا يصمد للنقد و التحليل و المشاهدة و الواقع التاريخي و الحاضر.

و أما أن القرءان يمثل الواقع فيجب ان يكون مجردا مثله, فان نفس الرد السابق ينطبق على هذا الانتقاد. لان النص القرءاني المشكل يفترض أنه واقعة أيضا. و كل واقعة في "عالم الواقع" لها صورتها المحددة, و انما الاختلاف يكون في عقول المشاهدين لها. فاذن ليكون القرءان مطابقا للواقع – من هذه الحيثية- يجب أن تكون له صورة معينة لها خصائصها, و الاختلاف يكون في عقول القارئين للقرءان. و هذا ما حدث فعلا و لا يزال يحدث. و من ناحية أخرى, فان القرءان يمثل المثل الأعلى للانسان و يعبر عن الطريق للوصول اليه (الله), فيكون للقرءان حقيقة واحدة لانه يعبر عن حقيقة واحدة معينة من الحقائق الكثيرة الممكنة في الوجود. و بالتالي يكون تشكيل القرءان تابع لهذه الحقيقة. فاذن حتى هذا الانتقاد لا قيمة فعلية له.

و أما كون أهل الاسلام عموما قد أصبحوا من دعاة اليقين المطلق و الحقيقة المطلقة, فلا أظن أن مثل هذه الاخلاق يمكن ارجاعها الى تشكيل القرءان الا بتعسف شديد. فأصلا أغلب أهل الاسلام خاصة العوام منهم لا يدرسون القرءان أصلا, بل يكاد الكثير من علماءهم لا يدرسون القرءان و انما يدرسون أو يقراون كتب تفاسير القرءان و غير ذلك من كتب روائية و فقهية و عقائدية و صوفية و فلسفية كلها تدعي –بحق او بباطل- انها تعبر عن الحقائق القرءانية. فانشغل معظمهم بهذه الكتب المذهبية و غير المذهبية و أما الدخول المباشر في القرءان لبناء نظرية متكاملة حصريا منه فيكاد يكون عدد الكتب التي فعلت هذا الأمر بالنسبة للكتب الاخرى تساوي نسبة الشعر الأبيض على جلد الثور الأسود. ثم ان اليقينية المطلقة هذه أساسها الحقيقي هو نزعة سياسية و هي أن يقنعوا العامة على انهم على الحقيقة المطلقة حتى لا يتحرجوا من الانفصال عن الشعوب الاخرى الجاهلة أو لكي يبرروا لانهم قتل تلك الشعوب و غزوها و غير ذلك مما يعلمه المحللون لهذا الخلق. و أخيرا, ان تحقق اليقين المطلق بشئ ما ليس عيبا في

حد ذاته و انما العيب ادعاء ذلك بدون برهان, و هذا لا علاقة ضرورية له بتشكيل القرءان أو عدم تشكيله. فحتى مع عدم تشكيله فان القارئ سيضطر أن يفترض تشكيلا معينا يحتمله الرسم, ثم على أساسه سيبني رأيه و استنباطه. و هذا يعني افتراض حد معين من التيقن في هذا الافتراض, و أما أن يفترض فرضا ثم يبني عليه استنباطا ثم مع ذلك يكون غير متيقن من صحة قراءته فان هذا يلحق قراءة القرءان باللهو و اللعب و العبث. فان المفترض أن القرءان ينتج علما بل هو أصل العلوم كلها, فان كان ظاهر نص القرءان بهذا القدر من الضبابية و الغموض بل العدمية فأي علم هذا ! التواضع المعرفي خلق طبيعي و ضروري عند أهل المعرفة, المفترض أن يكون متحقق فيهم قبل أن يبدأوا بدراسة القرءان أصلا, فالتشكيل أو عدمه ليس سببا لخلق مثل هذا الخلق و انما في أحسن الظنون قد يكون سببا اضافيا لترسيخ هذا الخلق, و لكن مع كل السلبيات التي ذكرناها و المقترنة بعدم التشكيل مطلقا فان هذا السبب الاضافي الضعيف يمكن بل يجب الاستغناء عنه و البحث عن أسباب أخرى للوصول الى هذا التواضع المعرفي الضروري.

و أما أن النبي الأول عليه السلام كتب القرءان من غير تشكيل مطلقا فكتابته الان بتشكيل بدعة, فان الحل هو كما ذكرت و أكرر: يجب ان يوجد قرءان مجرد تماما من كل شئ, و يكون في متداول الناس يستطيع أي أحد أن يحصل عليه. ثم تكتب مصاحف مشكلة بحسب القراءات المختلفة – سواء المنسوبة الى النبي أو غيره– و تعتبر هذه المصاحف المشكلة لها درجات أعلاها القراءات التي تنسب الى النبي الأول عليه السلام, ثم بقية المسلمين ما دون ذلك. و اما اعتبارها بدعة, فان النطق و الكتابة هما فرعين لأصل واحد و هو البيان. فأن يكون البيان مكتوبا أو منطوقا لا يفرق كثيرا. هذه مسألة فرعية. الاصل ثابت و هو ضرورة البيان. و ان كنا لن نطبع الا الصحف المجردة و كان من الواجب على كل مسلم أو مسلمة ترغب في تلاوة القرءان أن تتعلمه من قارئ معين, فان عدد من يتلون القرءان سيقل كثيرا جدا, فضلا عن قلتهم الحالية.و لا فرق حقيقي او كبير بين أن يكون التشكيل منطوقا أو مكتوبا, فلا بأس على هذا الاساس أن يكون التشكيل مكتوبا. و هذا لا ينفي الحاجة الى الاستماع الى قارئ متقن فمن شاء أن يستزيد من تحسين تلاوته فانه نور على نور.

و أما كون هذه المصاحف مطبوعة على مذهب السلطة التي تطبع, فان ما طبعوه هو احتمالية من الاحتمالات التي يتحملها النص, أو هي قراءة منسوبة الى النبي الأول عليه السلام أو أحد القراء, فالمرفوض ليس كونهم طبعوا القراءة التي تخيروها لسبب أو لاخر و انما المرفوض هو حصر القرءان مطلقا في هذه القرءاة أو تلك بدون وجه حق. اي المرفوض هو الاحتكار. و أما اذا عرفت هذه المسائل فانه لا بأس في الأمر.

و أما كون القرءان بعد تشكيله تحول الى كتاب للموسيقى و التغني و غير ذلك, فانه حتى لو جردناه عن التشاكيل فاننا سنضطر أن نفترض تشكيلا معينا في عقولنا حين نقرأه لندرسه و عندها سنرسم صورة معينة للاية القرءانية أي تشكيلا معينا, و عندها نستطيع أن نتغنى بهذه الاية على هذا التشكيل. فاذن عدم التشكيل لن يؤدي الى ايقاف التغني بالقرءان. و اصلا لا يوجد أي ضير في التغني بالقرءان, و انما الماخذ هو على الذين يتغنوا بدون أن

يدرسوا. فينفقوا جل وقتهم في اتقان ظاهر التلاوة و يغفلون عن اهمية و أولوية الدراسة. فهجر دراسة القرءان لها أسباب أخرى هي التي دفعت الى ذلك, و أحسب أن تشكيل القرءان اما سببا ضعيفا جدا في هذا المجال أو أنه ليس بسبب أصلا. و قد فصلت أهم أسباب هجر القرءان في كتابي (لماذا هجرنا القرءان؟) و في ثنايا الكثير من كتاباتي. و لم أجد أن تشكيله هو من أسباب هجره. بل لعل تجريده من التشاكيل سيؤدي الى مضاعفة هجره. فان كان الان و هو على ما هي عليه من التيسير و الهجر واقع, فان زادت مشقة التلاوة على مشقة الدراسة فيجب أن نعتبر أنفسنا محظوظين ان وجدنا ثلاثة يدرسون القرءان !

فاذن كما ترى, الانتقادات الخمسة كلها لا تسمن و لا تغني من جوع. و لا تصمد أمام النقد و الملاحظة الواقعية للأمور. فضلا عن أن كون الكتاب بدون تشكيل لا ينتج علما و هو عسير, لا يجد له تفسيرا أو حلا في ضوء نظرية وجوب ازالة كل التشاكيل مطلقا.

فأقصا ما في هذا الباب هو التالي: اكتبوا قراءنا مجردا تماما, و اكتبوا بعد ذلك قرءانا مشكلا كما تشاؤون. و يكون المرجع الأصل حين الاختلاف هي أهم القراءات التي صحت عن النبي الاول عليه السلام بالتواتر التام, و تحقيق مسألة القراءات السبعة او غيرها و غير ذلك ليس محله هذا الكتاب الذي هو مجرد مدخل و ليراجعه من يشاء في مظانه في كتب التحقيق في هذه المسألة.

و يوجد اية قرءانية واضحة بهذا الخصوص تقول " البينة: رسولا من الله يتلو صحفا مطهرة" فهنا نلاحظ ركني البينة: الرسول التالي , و الصحف المطهرة. فأحدهما بدون الاخر لا تكمل به البينة. فدون معرفة الكيفية التي كان الرسول الاول عليه السلام يتلو بها هذا القرءان فانه لا يمكن أن تقوم بالقرءان أي بينة أو حجة أو علم فقط من القراءة و انما يمكن ان تثبت بها العلوم و الافكار بحسب قوانين البرهان و شواهد الافاق و الانفس. يجب أن نقوم بكل ما يمكن القيام به للوصول بيقين قدر المستطاع الى الكيفية التي كان الرسول عليه السلام يتلو بها كتاب الله تعالى. و على هذه التلاوة نتلو.

و ما يعرف الان بالقراءات السبعة او العشرة او الاكثر و نحو ذلك, فانما هو اجتهاد من القارئ. و الاصل الذي يجب ان يحكم الاجتهادات في القراءة هو موافقة رسم المصحف فتكون القراءة مما يحتملها رسم الكلمة في المصحف. و الاصل الثاني هو موافقة القراءة لوجه من وجوه اللسان العربي. و الاصل الثالث هو الاستدلال الخارجي على القراءة, أي ان يستدل القارئ بايات الافاق و الانفس و المنطق البرهاني بشتى صوره لدعم الفكرة التي استوحاها من هذا القرءان. فالقرءان شئ و القراءات شئ اخر. و الاستدلال و البرهنة على قوة الفكرة وواقعيتها و منفعتها هو أصل حاكم على هذا القرءان و غير هذا القرءان. فحتى لو افترضنا وجود قراءة واحدة مطلقة للقرءان, فانه مع ذلك يجب على من يستنبط علما او حكما أن يثبته اثباتا مجردا. "هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين". فبدون البرهنة على صدق الفكرة او منفعتها فان الواجب على العلماء القيام بأمرين: التوقف عن القطع في ان هذه الفكرة لها حجة تفرض

قبولها, و الشك في صحة الاستنباط من القرءان. فما بالك و أصل هذا القرءان انه مجرد عن الشكل و التنقيط, و القراءات المشهورة بين الناس انما هي اختيار بعض القراء و قد كان يوجد غيرهم كثير من القراء ممن هو اعلى منهم رتبة في العلم و التقوى و الوثاقة و لكن لسبب ما اختير هؤلاء السبعة او العشرة ليمثلوا التيار السائد للمذهب الديني للحكومة او عموم الناس. و ليس لهؤلاء السبعة و لا لغيرهم حجية بنفس ذواتهم ولا يوجد شئ يفرض على مسلم أن يعتمد قراءتهم التي اختاروها لانفسهم لسبب او لاخر. و هذا الامر كان و لا يزال معروفا عند العلماء الحقيقين, اما الجهلة و المستعجلين فلا يفهمون الا منطق التسرع و التعصب و اطلاق الاحكام الشاملة الخطيرة بدون تثبّت. فاذن: الاصل انه يجوز لكل مسلم أن يتخير القراءة التي يراها, و لكن ليس بفرض على اي مسلم اخر ان يقبل قراءته لمجرد انها قراءته. فالقراءات تحاكم كما تحاكم الافكار عموما. و حتى اذا افترضنا وجود قراءة واحدة "صحيحة" لهذا القرءان و باقي القراءات باطلة او ضعيفة, فانه لا سبيل الى تعيين هذه القراءة الا في ظل وجود رسول الله بيننا. او وجود ما يسمى ب "المعصوم" في عرف الناس. و حيث ان الرسالة ختمت عند جمهور الناس, فاذن بالنسبة لمن لا يؤمن بامكانية بعث رسل جدد- و لو في ضمن الاسلام, فمعروف عند العلماء عامة انه قد كان الله يبعث الانبياء و لا ياتوا بشريعة جديدة و انما يدعوا الى الشريعة التي قبلهم, و يصلحوا ما فسد فيها و نحو ذلك. فان كان الله لن يبعث نبيا او رسولا من هذا القبيل في هذه الامة, فانه لا سبيل الى تعيين هذه القراءة الصحيحة الوحيدة لكتاب الله تعيننا قاطعا يقينيا. و أما بالنسبة للفرقة التي ترى ان الله سيبعث الامام المهدي المعصوم سلام الله عليه, فانه يمكن حينها للمهدي ان يحدد القراءة الصحيحة الوحيدة للقرءان لانه يقوم مقام الرسول و النبي في الامة و لا يخطئ في احكامه و يكون مسددا من قبل الله تعالى تسديدا مطلقا.

فاذن يوجد ثلاث طرق لمعرفة اي القراءات صحيح و ايها ليس كذلك: وجود رسول الله بيننا, وجود امام معصوم بيننا, او وجود برهان من خارج القرءان على صحة الفكرة التي تبنى على القراءة المختارة.

و الى ان يأتي رسول الله (عند من يجوز ذلك بقيود عندهم), او ياتي الامام المهدي المعصوم, فانه لا سبيل امامنا الا السير في الطريق الثالث. و هو الطريق الذي اخترت أن اسير عليه- باذن الله و توفيقه.

ثانيا "الترتيب" . المقصود هو ترتيب سور المصحف. و ترتيب السور الحالي ليس الأحسن, لأسباب:-

فالحكمة من هذا الترتيب غير موجودة أصلا, و بالتالي لا يمكن التعلم منها و البناء عليها. فحتى بعد كل هذه الفترة و كل هذه التفاسير و الشروحات لا أحد يستطيع أن يثبت وجود حكمة راسخة بينة قام على أساسها هذا الترتيب. و لذلك لما أرادوا أن يحتجوا لاثبات وجوب بقاء الترتيب على ما هو عليه لم يجدوا دليل الا أن يقولوا " هذا أمر توقيفي" أي عن الرسول أو الصحابة, ثم يأتون بكلام عن فلان و فلان و فلان و السلام. و لكن حتى هؤلاء يقرون أنه كان لبعض من عاصر محمد النبي ترتيب مختلف لمصاحفهم, من حيث السور بالطبع. فلو كانت مسألة الترتيب ليس لها الا هذا الشكل الحالي لما وجد من له ترتيب مختلف.

ثم ان اختلاف ترتيب السور لا يؤثر على نفس تعليم القرءآن. فهل آية الكرسي سيتغير معناها اذا أصبحت سورة البقرة في آخر القرءآن مثلا؟ لا. فتقديم سورة على أخرى لن يجعل السورة المقدمة غير السورة المتأخرة بحسب الترتيب الحالي. فهي مسألة حسن و أحسن. و ليس صواب و خطأ, بل حسن و أحسن.

و هذا الترتيب الحالي يخالف قواعد التعليم الأولية التي هي بديهة عند كل الناس. ففي كل تعليم يبدأ الكتاب من البسيط و يتدرج في العميق و الطويل. و لذلك حتى هؤلاء اذا أرادوا أن يحفظوا أو يعلموا الصغار و الكبار القرآن, لا يبدءون من سورة البقرة و آل عمران, و لكن من أقصر السور. فكون المصحف يبدأ بأطول و أصعب السور هو كمن يقول أنه على الطالب أن يحضر رسالة الدكتوراه قبل أن يتخرج من المرحلة التمهيدية و الابتدائية! و كمن يقول أنه على من يريد أن يمارس رياضة الجري أن يبدأ بقطع مسافة 1000 كيلو قبل أن يتعود على جري المسافات القصيرة كتمهيد. فهذا الترتيب جعل عالي الأمور سافلها و قلب كل شيء.

و أما ما يدعيه البعض من وجود مناسبة بين السور في الترتيب الحالي فهو أمر لا يثبت أمام النقد البسيط. لأن من مميزات العقل الانساني أنه يستطيع أن يختلق أي مناسبة بين أي شيئين متتاليين مهما ظهر أنه لا مناسبة بينهم. و ان اطلعت على شيء من هذه الكتب التي تدعي كشف المناسبة بين السور فسترى أن التكلف واضح و السطحية بارزة في أغلب ان لم يكن كل امثلتهم. فمثلا يقولون أن سورة آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى, و سورة النساء بدأت بالأمر بالتقوى! أرأيت الى المناسبة المعجزة! أو أن سورة ختمت بذكر النجوم و التي بعدها بدأت بكلمة "و النجم" . و أحيانا يكون التعليل أعمق بقليل و لكن الغالب أنه أمور سطحية لا تثبت أبدا.

فاختلاق المناسبة لا يعني تبرير هذا الترتيب أو اظهار أنه بني على حكمة واقعية. فمثلا هل يوجد مناسبة بين "أدوات الطبخ" و "الصلاة"؟ لعل النظرة الأولى تقول "لا" و لكن يمكن أن نختلق مناسبة, بل و مناسبة حكيمة عظيمة. فنقول " أدوات الطبخ مقدمة لصناعة الطعام الذي يغذي الجسم و ينميه, و الصلاة هي تأمل و التأمل مقدمة انتاج الأفكار التي تغذي العقل و ترقيه. فأدوات الطبخ هي المثل الظاهري للصلاة. فالمناسبة بينهم كالمناسبة بين الظاهر و الباطن , أو الجسم و الروح"

هل هناك مناسبة بين "المزبلة" و "الصلاة" ؟ نعم, المزبلة رمز على الدنيا, و الصلاة هي خير اعمال اخل الاخرة, و هذا هو الذي يخرج الانسان من أسفل سافلين الدنيا الى أعلى عليين. فالمناسبة بين المزبلة و الصلاة هي كونهم يمثلا مراحل السفر الروحي بين الدنيا و الآخرة, و لكن بدل ذكر الآخرة قال "الصلاة" ليؤكد على أهمية العمل, و أنه الوسيلة التي توصل الى الغاية "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" .

و هذا الذي أذكره ليس من باب الجدل السفيه و لكن من عمق الحكمة القائلة أن "كل شيء مرتبط بكل شيء" فحتى عملية الهضم التي تتم في معدتك مرتبطة بشدة بحركة المجرات الفضائية. و لذلك فاختلاق المناسبات ين السور لا يعني أن هذا هو الأساس الذي من أجله وضع الترتيب.

و لا يأتي أحد ويقول "الترتيب له حكمة الله أعلم بها" لأن الله لم ينزل علينا الكتاب لكي يرينا أنه هو يعلم و لكن لكي نعلم نحن. و لا يخفى على العقلاء المستنيرين أن فكرة "اصطفاها الله لنفسه, أو الله أعلم" هي من الوسائل التي ابتكرها الأحزاب لكي يحولوا الناس الى أنعام تسير خلفهم. أترى لو أعطى طبيب كتابا في الطب بكلام لا يستطيع أحد أن يفهمه و أعطى هذا الكتاب الى صبي في العاشرة, و قال له "يجب أن تتدبر هذا الكتاب و تعمل به" , أليس هذا الطبيب متكبر غبي و الصبي الذي يقبل الكتاب أغبى منه؟ الكتب خلقت من أجل فهمها, و الكتاب الذي لا يستطيع الناس فهمه يجب أن يلقى في المزبلة لأنه تضييع لجهد الناس و حياتهم. فان كان عندك علم فأنعم علينا به و لا فأبقه لنفسك.

و عدم العلم لا يعني عدم امكانية التعلم أو انعدام وجود العلم. فهؤلاء عميت عليهم الأنباء و حجبهم عدم ايمانهم بالآخرة الباطنية عن فهم القرءآن, فقالوا أنه لا يمكن العلم به أصلا. فجعلوا ضعف أعينهم أو عماهم دليل على عدم وجود الأشكال و الألوان. الأعمى الغافل يحلف أن الحياة سوداء, و ما ذنبه ان كان لا يرى الا السواد؟ و لكن هل هذا يعني عدم تحقق الألوان؟ هذا مثل الذين اذا لم يعرفوا قالوا "لا يوجد" . نعم لا يوجد "بالنسبة لكم" فقط.

و على ذلك فيجب أن يكون ترتيب السور قائم على حكمة, بينة, لها برهان, و تنفع الناس. و لما لم يكن هذا الأمر متوفر في هذا الترتيب الحالي للسور فيجب تطهير الكتاب منه.

مثل القرءآن في العالم هذا هو الشمس, و الشمس عندما تطلع تبدأ بنور قليل ثم يزداد و يزداد حتى يبلغ قمته عند الظهيرة. و هذا مثل الحق, و الحق لا يغرب كالباطل الذي أصلا لا يثبت.

و التعليم يبدأ بالاجمال ثم التفصيل. ففي البداية نذكر المقدمات, و التمهيدات, و المسائل المجملة التي يتضمنها هذا العلم, ثم نبدأ في تفصيل الأمور المجملة و الاستدلال عليها, و ذكر الآراء و الوجهات المختلفة, و النظر في براهينها و مناقشتها, و ما الى ذلك. و هذا هو التفسير الانساني لمثل الشمس الآفاقي, و على هذا يسير الناس.

فبناء على هذه الحكمتين "اشراق الشمس من الأقل الى الأكثر" و "التعليم يبدأ بالاجمال ثم التفصيل" نقيم ترتيب سور القرآن الكريم. "سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" فالاشراق هو شاهد الآفاق, و التعليم هو شاهد الأنفس. و لا نزاع في هذا و لا ذاك. فاذن هذا هو الحق الثابت الذي ينفع الناس. و هما ليسا حكمتين و لكن حكمة واحدة لها وجهين.

و بناء على ذلك يجب أن يكون ترتيب سور الكتاب المبارك من السور ذات أقل عدد آيات الى الأكثر. فان تساووا فالأقل عدد كلمات. فان تساووا فالأقل عدد أحرف. و لا يوجد سورتين لهما نفس عدد الآيات و الكلمات و الأحرف. لكن, و هذا من الأمور العجيبة التي ظهرت, يوجد سورتين لهما نفس عدد الآيات و الكلمات و الفرق بينهما هو حرف واحد أو حرفين. و هذا شاهد ثالث على قوة هذه الحكمة. فالحمد لله.

لماذا لم تذكر البسملة في سورة التوبة. يقال ان السبب هو هذا " لأن الله فضح المنافقين فيها, و الفضيحة لا تناسب الرحمة" أو "لأن سورة الأنفال و التوبة كانا سورة واحدة" تعالوا ننظر في هذا التعليل.

ان الله لا يعمل عملا الا بالرحمة, و القرآن انما نزل للرحمة "و ما أرسلناك الا رحمة" و القرآن نفسه رحمة. و كل عمل الخالق رحمة ظاهرة أو باطنة. و لو كانت هذه هي العلة لكان من باب أولى أن لا تكتب البسملة في سورة "المنافقون"! فسورة المنافقون أولها بسملة و سورة التوبة لا تذكر فيها البسملة!! ثم ماذا عن باقي السور التي لا تذكر فقط فضح المنافقين بل و هلاك الكفار و المجرمين؟ ألم يكن من الأولى أن نحذف البسملة أيضا منهم؟!

ان الله يقول " و كذلك نفصل الآيات و لتستبين سبيل المجرمين" فالقرآن كله بطريقة مباشرة أو غير مباشرة انما هو فضح للشر , شر أهل النفاق و الكفر و الاجرام. فعلى ذلك يجب أن لا تكتب البسملة في كل سور القرآن. فسورة "المسد" مثلا أو "الفيل" و غيرهم كثير انما هي فضح لكفار و عذابهم و التبشير بعذابهم, أليس يجب بناء على هذه العلة أن نحذف البسملة منهم أيضا.

هذه العلة غير سليمة.

ثم ان وجود اسم للسورة دليل على أنها سورة قائمة بنفسها, بل حسب ما يقول اهل التفاسير أن لها أسامي كثيرة, و هذا يدل بشدة على أنها سورة و سورة الأنفال سورة منفصلة. و ما الذي يجعل الناس أو ما الذي يجعل النبي يفصل بينهما ان كانا سورة واحدة حقا؟ لو كانا سورة واحدة فيجب أن نرجعها سورة واحدة, و لا نقول سورة التوبة بعد اليوم بل سورة الأنفال فقط.

ثم ان السورة نفسها تدل على أنها سورة كاملة واحدة جديدة منفصلة عن غيرها. و لا يوجد أي سبب يجعلنا نقول أن سورة التوبة ليست سورة تامة. و حتى نفس التوبة غير نفس الأنفال لمن اطال التأمل في القرءان و استشعر التمييز.

و بعد طول تأمل في المسألة يظهر ان البسملة لم توضع في بداية التوبة في الأصل لسبب ابينه بمثال: تصور انك دخلت منزلا فيه 114 غرفة, فما زال صاحب البيت يدور بك على الغرف و وجدت ان باب كل الغرف هو الازرق. و من بين كل هذه الغرف وجدت غرفة واحدة لون بابها اسود. فهذا لاشك سيقدح في عقل المتسا ءل نارا تقول له "ما معنى هذا الفرق, و لماذا هناك ازرق و هنا اسود؟" و هذا سيجعلنا نبحث عن معنى الازرق و الذي سنفهم منه بالتالي سر الأسود. و كذلك هنا, فما اراد الله ان يجعلنا نتسا ءل عن سر الافتتاح بالبسملة جعل احدى السور خالية منها. و لكن لماذا سورة التوبة بالذات؟ بما ان سورة التوبة تفصل تفصيلا عظيما عن المنافقين الجهلة بالقرءان و حقيقته, فان في هذا دليل على ان من لم يفهم البسملة و ياخذ بالقرءان ظاهرا فهو من المنافقين. اذ البسملة مفتاح خزائن القرءان. لا توجد مصلحة لاحد من الاحزاب في ان يمحوا البسملة من هذه السورة بالذات, و لذلك يغلب على الظن بل اقول اليقين ان هكذا هو الاصل الا ان تعليلهم لهذا الامر لم يكن موفقا. و هذا ما ظهر لي في هذا الأمر الى الان.

و هذا يدفعنا الى مسألة اخرى و هي: بما ان سورة التوبة ليس لها بسملة, و بما ان الفصل بين السورة و السورة لم يكن يتم الا بالبسملة او بذكر اسم السورة كما في هذه المصاحف, و بما ان ليس للتوبة بسملة و التفريق بين السور على اساس ذكر اسم السورة انما هو امر مبتدع, بل ان فكرة اسماء السور هو ليس امر قطعي اذ لكل سورة اسماء كثيرة بحسب نظر القارئ او الشارح. فاذن النتيجة هي انه يجب ان نكتب كل سورة في صحيفة لوحدها. و مجموع الصحف يكون الكتاب. و يظهر ان هذا هو السبب في ان الله لم يقل كلمة "مصحف" و لا مرة, بل يقول اما "صحفا مطهرة" او "كتاب" و كلمة "صحف" توحي بالمعنى الذي يوصل اليه البحث, و الجمع بين صحف و كتاب تعني ان كل سورة يجب ان تكتب في صحيفة و يجب ان تجمع هذه الصحف كلها لتكون الكتاب.

فكيف نعد الايات؟ ان الفواصل الرقمية هذه ايضا كما هو معلوم مبتدعة. فالاصل ان الفاصلة هي امر اختياري للقارئ او التالي و بحسب ما يعطي معنى للكلام. و نظم القرءان يوحي احيانا و كان الفاصلة هي القافية في نهاية الجملة مثل "انا اعطينك الكوثر فصل لربك و انحر" فكأن حرف الراء هو الفاصلة بين هتين الجملتين. و لكن هذا لا يكفي معيارا لخلق الفواصل لسببين على الاقل احدهما يكفي بنفسه: اولا, ليست كل السور خاصة الطويلة تكون لها قافية (ان صح التعبير) مستمرة من اول السورة الى اخرها, و احيانا في نفس السورة تكون القافية متتابعة في اكثر من جملة ثم تتحول القافية الى حرف اخر ثم تعود الى الحرف الاول و هكذا. و ثانيا, خاصة في السور الطوال تستطيع ان تقف على رأس جملة تامة بالرغم من ان هذه الفاصلة الرقمية المبتدعة قد جاءت كمثل اية الدين. تستطيع ان تستشعر احيانا الفاصلة و انت تقرأ, و لكن هو ليس امر حتمي. فاذن القرءان كله كلمة واحدة متصلة في الأصل, و انما الوقفات و الفواصل امور اعتبارية نسبية. فهذا يقتضي ايضا ان نمحي هذه الفواصل الرقمية المبتدعة. و بذلك نصبح ظاهريا امام سور , و في كل سورة الكلام متصل و انما يفصل بين الكلمة و الكلمة تمام المعنى او رغبة التالي في الاستراحة.

فمثلا, سورة الكوثر ستكون مكتوبة في صحيفة هكذا " بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيتك الكوثر فصل لربك و انحر ان شانئك هو الابتر".

فسنحتاج هنا ان نؤسس نظاما لكتابة القرءان في هذه الصحف. اي عدد الكلمات في كل سطر, و عدد الاسطر في كل صحيفة, حتى نعرف متى ننتقل الى صحيفة اخرى اثناء كتابنا لسورة طويلة نسبيا لا تكفيها صحيفة واحدة. فما هو هذا الاساس؟

بما انا عرفنا ان اساس الترتيب يجب ان يكون من الاقل الى الاكثر. و قد عرفنا انه لا يمكن ان نفرق السورة الى "ايات" بحسب الفواصل المبتدعة هذه, فاذن العد سيبدأ من الكلمات. فتكون السورة الاولى هي صاحبة اقل عدد كلمات, و اذا تساووا في عدد الكلمات بحسب عدد الأحرف. و الواو يعتبر حرف و ليس كلمة فلا يعد الا عند تساوي الكلمات و الكلمة حرفين فصاعدا مثل "قم" في "قم الليل الا قليلا". و من هنا سيتبين لنا ان اول سورة هي سورة الكوثر (هي الاقل عدد كلمات من بين كل السور). و حيث اني لن استطيع ان اقوم بجهد عد الكلمات و الاحرف في كل سور القرءان بنفسي فاني اكتفي بذكر هذه القاعدة حتى نأتي باجهزة كمبيوتر معينة تعيننا على القيام بهذا الامر. و حيث ان سورة الكوثر هي اول سورة فلنتخذها كمعيارا في عدد الكلمات المفترض في كل سطر, أي اربعة عشر كلمة في السطر. و حيث ان السموات ترمز تتمثل في القرءان اي السموات السبع الطباق, فليكن في كل صحيفة سبعة اسطر طباقا أيضا.

فالعمل هو هذا: ان نحسب كم عدد الكلمات في كل سورة, فاذا وجدنا سورتين لهما نفس عدد الكلمات نحسب عدد الاحرف, و لو وجدنا سورتين لهما نفس عدد الكلمات و الاحرف فهذا يعني ان النظام الذي قلناه فيه خلل و يجب ان يعاد النظر فيه, فهذا هو الاختبار الموضوعي الذي يثبت عدم صحة هذه النظرية التي ذكرتها في ترتيب سور القرءان. و على فرض نجاح النظرية, و لم نجد سورتين لهما نفس عدد الكلمات و الاحرف (اذ هذا يعني اننا لن نجد معيارا موضوعيا لتقديم سورة على اخرى) فان الخطوة الثانية هي هذه: ان نكتب كل سورة في صحيفة خاصة, اربعة عشر كلمة في السطر , و سبعة اسطر في الصحيفة الواحدة. و الخطوة الثالثة: ان نرتب في فهرس السور من الاقل الى الاكثر ثم نجمع صحف هذه السور في كتاب واحد. و ليكن الكتاب مجموعا بطريقة يمكن ان تجعل القارئ او الدارس ان يفك صحف السورة الواحدة بحيث ينشرها امامه بحيث يرى السورة كلها منشورة امامه اي صحائفها كل واحدة جنب اختها, و لنترك الخيار للقارئ في كيفية استعمال كتابه.

"و أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب"

ثالثا "الحجم". هذا ليس اصلاحا كما هو الحال مع التشكيل و الترتيب و انما هو من باب التذكير بالأحسن. فكون القرآن كتاب للدراسة العلمية الروحية, و كون التأمل فيه سيجعلك تركز على كلمات معدودة بل حتى كلمة واحدة أو حرف أحيانا للتعمق فيه, فانه من الأحسن و الأكثر راحة للعين و الجسم أن يكون حجم الكتاب كبيرا و خطه كبيرا, كما في الكثير من المصاحف المطبوعة حاليا. و لعله من الأحسن لو كان لكل فرد مصحف كهذا ليدرس فيه و أن يكون كبير الحجم و له مسندة تسمح لك بالجلوس في أحسن وضعية ممكنة للتأمل المجرد و الكتابة و الشرح, بحيث ينصرف كل جهدك و تتركز كل قوتك في الدراسة, فان القرءآن ثقيل.

و اختيار لون غلاف المصحف و ورقه و لون الخط, لعله من الأحسن لو كان له حكمة. كأن يكون رموز تمثل حقيقة القرآن. كأن يكون غلافه أخضر ليرمز الى الجنة, و لون الخط أسود ليرمز للغيب, و لون الورق كلون التراب المريح ليرمز الى الأصالة, و ما أشبه. فتراعى الراحة و العلم, و لكن تقدم الراحة, لأن العلم ليس في لون الخط و الورق و لكن في باطن الكلمات كما قال " تجري من تحتها الأنهار" .

(مسألة خط هذا القرءان)

من هو الذي خط هذا القرءان؟ هذه مسألة شديدة الأهمية و يترتب عليها الكثير من الأمور الجليلة. و قد تكلم فيها الناس كثيرا, و أحب هنا ان أدلي بدلوي فيها. و مقاربتي للمسألة تبدأ من حصر الاحتمالات الأساسية في الاجابة عنها ثم النظر فيها. فتعالوا ننظر.

يوجد أربعة احتمالات: اما أن النبي هو خط القرءان و كتبه و ضاع هذا الخط. و اما أن النبي خطّه و بقي هذا الخط. و اما أن النبي علّم أصحابه الكتّاب كيفية خط القرءان و ضاع هذا الخط الذي علمهم اياه. و اما أن الني لم يخط بنفسه و لم يعلّم أحدا كيفية الخط الصحيح للقرءان و ترك ذلك لما تعارف عليه القوم و اكتفى بتبليغ القرءان باللفظ.

فالنبي تلا على مسامع الناس القرءان. فسمعوا ألفاظه منه. فكتب كل واحد بطريقته الخاصة و ما تعارف عليه. ثم مع الوقت و بسبب حصول عثمان بن عفان على السلطة استطاع أن يجمع الناس على الخط الذي ارتضاه هو, و هو الخط الباقي الى اليوم في هذا المصحف. (هذه اطروحة يقدمها بعض الناس). و على ذلك, يكون النبي لم يحدد خطا معينا يجب أن يكتب فيه القرءان الكريم. او على الاقل رضي الاسلوب الذي كان متعارفا عليه عند القوم في وقتها و لم يحدد شيئا اضافيا. فيكون هذا المصحف المتواجد الان انما هو رسم الالفاظ بحسب ما رغب فيه عثمان و ما ارتضاه, بغض النظر عن ادعاءه و مستنده في هذا الاختيار الخاص. و يترتب على هذا أنه تجوز كتابة ألفاظ القرءان برسم اخر غير الرسم العثماني. من ناحية المبدأ يجوز ذلك, اذ يكون رسم القرءان و خطه مسألة بشرية اجتهادية, و حيث انها بشرية اجتهادية فتكون قابلة للخطأ و الصواب, و الحسن و الأحسن. و أما الجمود على هذا

الخط فلعله يرجع الى مصالح سياسية معينة أو دينية. كأن لا يشك عموم الناس بوجود تحريف في القرءان عندما يجدوا الخط الذي عندهم يخالف الخط في مصحف فريق اخر. و العمدة عند الكل هي حفظهم لألفاظ القرءان في الصدور, و أما تدوينه في السطور فيختلف من قوم الى قوم و يكون هذا جائزا من حيث المبدأ. مثلا, كلمة "اقيموا الصلوة" بحسب ما يلفظها الناس تختلف عن خطها و رسمها في المصحف المسمى بالعثماني. بل ان الكتابة بحسب الهجاء اللفظي يجب أن تكون هكذا "اقيمو الصلاة" او "اقيموا الصلاة". فليس من عقل و لا عرف يكتب حرف الواو لينطق ألف ! و مثلا كلمة "انا انزلنه في ليلة القدر" ينبغي ان تكتب هكذا ليكون اللفظ مطابق للخط "انا أنزلناه في ليلة القدر". و لا يوجد حاجة ظاهرة في عدم كتابة حرف الألف بعد حرف النون من "انزلنه". و مثل اخير- و يوجد امثلة كثيرة جدا- اسم ابرهيم. فانه يكتب في سورة البقرة "ابرهم", و في باقي السور "ابرهيم" و ينطق في كل الاحوال عند الناس هكذا "ابراهيم" ! فبحسب هذه الاطروحة يوجد فصل بين النطق و بين الخط. و هذا أصل هذه الاطروحة. النطق شئ و الخط شئ اخر. و النطق ينسب الى النبي, و لكن الخط ينسب الى انسان معين أو مجموعة من الناس. و هذه الاطروحة تقوم على أساس أن النبي لم يخط القرءان. و الا فلو كان قد خطه فينبغي التزام الخط الذي خطه النبي حصرا. و يكون كل ما عداه داخل في باب التحريف. فعدم كتابة النبي للقرءان هي القاعدة الخفية التي تقوم عليها هذه الاطروحة. فتأمل.

و الان, هل كتب النبي القرءان او حتى جزء منه؟ الجواب: الغريب ان الناس قد اتفقوا على أن القرءان قد كتب في زمن النبي, بل في حضرته و تحب اشرافه, و كان عنده جماعة تسمى ب "كتّاب الوحي". فسواء كان قد كتبه على سعف النخل و جلد التيوس و بقية المواد الحقيرة التي يقولون أنه كتب عليها, او انه قد كتبه في صحف مطهرة و رق منشور, أيا كان لا يهمنا في هذا المقام, المهم أنه قد كتبه أو أملاه على الناس لكتابته. و السؤال الان: بأي خط كان النبي يأمر بالكتابة؟ فحيث انه كان يكتب أو يامر بالكتابة فلابد أنهم قد كتبوا بخط ما. فأين هو هذا الخط الذي ارتضاه النبي؟ فمثلا هل النبي كان يكتب "الصلوة" أم "الصلاة"؟ هل كان يكتب "أنزلنه" ام "أنزلناه" ؟ هل كتب في البقرة "ابرهم" قصدا و في بقية السور "ابرهيم" و كان ينطقها كلها بصورة اخرى "ابراهيم" أم ماذا؟ و قس على ذلك بقية الاختلافات الواقعة بين نطق الكلمات القرءانية و خطها؟

هنا يوجد احتمالات : اما أن النبي هو بنفسه خط أول قرءان ثم كتب الكتّاب نسخا من هذا الكتاب الامام الذي خطه النبي بنفسه (و هذا قولي), و اما أن النبي أمر أصحابه كتّاب الوحي بأن يدونوا ما ينطقه هو فأمرهم بأن يكتبوا بخط معين تعورف عليه في منطقة ما كخط أهل مكة مثلا, و اما أن النبي أمر اصحابه كتّاب الوحي بأن يدوّنوا ما ينطقه هو كل بحسب ما يعرفه هو فالمكي يكتب بخط أهل مكة و المدني بكتب بخط أهل المدينة و هكذا لبقية المناطق و الخطوط في ذلك الزمان, و اما ان النبي كان يأخذ مسألة الخط اعتباطيا فيكتفي هو بنطق القرءان و تلقينه للمسلمين فيحفظون ألفظاه عنه ثم يكتبه كل من يشاء كما يشاء و هذا يفترض أنه لم تكون توجد "نسخة محمدية" من القرءان ان صح التعبير.

فاصل الخلاف يرجع الى هذا السؤال: الاولوية للخط أم للنطق؟ و هذا أيضا السؤال يتوجه للنبي بعلاقته مع جبريل, و للناس بعلاقتهم بالنبي. فهل النبي كان يسمع صوتا بألفاظ القرءان ثم بعد أن يفرغ هذا الصوت يقوم النبي بكتابته أو يأمر بكتابته و يمليه هو عليهم, أم ان النبي وجد الكتاب متنزلا على قلبه في ليلة القدر فكتب عين ما تنزل على قلبه بصورته و بلسانه؟ فلو افترضنا بأن النبي كان يسمع اصواتا بألفاظ القرءان فيحفظها ثم يمليها على الناس او يلقنها لهم فان هذا يدخلنا في الاحتمالات التي تتفرع عن هذا و التي ذكرناها أعلاه. و لكن ان كان النبي هو نفسه يتعامل مع الوحي أولا ك "كتاب" ثم هو نفسه يتلوه من هذا الكتاب, فهنا المسألة تختلف كلية. و هذا الاحتمال الاخير هو القول الذي يشهد له القرءان نفسه.

و الان لنمحص هذه الاحتمالات الكثيرة التي ذكرناها.

أساس نظريتي في هذه المسألة هي هذه الاية " و ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطه بيمينك". و بحسب مفهوم المخالفة يكون النبي قد أصبح بعد تنزل هذا الكتاب عليه يتلو من الكتاب و يخطه بيمينه. و يشهد لهذا الاستنباط الواضح من ذات الاية, ايات اخرى من قبيل "و اتل ما أوحي اليك من كتاب ربك" و "رسولا من الله يتلو صحفا مطهرة", وكل الايات التي تتحدث عن "الكتاب". فبما أن تلاوته من كتاب قرنت بخطه بيمينه, و قد ثبت بالايات الاخرى أنه أصبح يتلو من الكتاب فهذا يعني أنه أصبح أيضا يخطه بيمينه و هذه قرينة أخرى تضاف الى الاستنباط من نفس الاية الأساسية. "ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا يخطه بيمينك" فهذا يعني أنه "من بعده" أصبح يتلو من الكتاب و يخطه بيمينه. بالاضافة الى ايات من قبيل "ان علمها عند ربي في كتب لا يضل ربي و لا ينسى" و فيها اشارة واضحة لان الحفظ في الكتب يمنع من الضلال و النسيان و هذا أمر واضح لكل الناس, اذ الحفظ في السطور أولى و أقوى و أضبط من الحفظ في الصدور. و هذا ما يعمل به كل الناس المحترمة في مسائل العلم, بل و في أدنى من العلم. و الله تعالى نفسه أمر بكتابة الدين و لو كان صغيرا ! "و لا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله, ذلكم أقسط عند الله و أقوم للشهدة و أدنى أن لا ترتابوا". فان كان دين صغير في أمور المعاش الأرضي يأمر بها الله بهذا, فمن باب أولى أن تكون كتابة كلام الله تعالى و العلم الديني أحق بهذا الحرص و الأمر فذلك أقسط عند الله و أقوم للشهدة و أدنى أن لا يرتاب الناس.

و قاعدة أخرى تقوم عليها نظريتي هذه و هي التالي: اضافة حرف الى كلام الله او ازالة حرف يعتبر من التحريف. و هذه قاعدة احسب ان كل عالم يتفق عليها. فلولا ان النبي هو الذي عينّ حروف القرءان و خطها لأصبح في كتاب الله زيادة و نقصان, و هو ما يقر به فعلا أصحاب الاطروحات الاخرى, سواء كان اقرارا صريحا او ضمنيا. فعندما يكتبون "انزلنه" ثم يضعون حرف ألف صغيرة بعد حرف النون, فانما هذا اقرار ضمني بان حرف الالف ناقص هنا في الخط فيجب الاستدراك على خط القرءان. و كذلك في باقي الاضافات او الانتقاصات. و انما جعل الخط ليكون هاديا في القرءاة ! و هل هذه القاعدة تحتاج الى بحث و نظر؟! لماذا نخط و نكتب ؟ للزينة و الزخرفة و الترف أم لنقرأ ما خططناه و يكون هو الهادي؟ كل محترم يرى الرأي الثاني. و ان أي خط يكون عبثيا لا يستحق أن يكون ربانيا. فالعبث و الربوبية لا يجتمعان.

فمن كل ما فات يظهر أن النبي هو الذي خط القرءان ليكون محفوظا في ظاهره و الذي هو مقدمة لحفظه في باطنه. فتلف المباني يؤدي الى تلف المعاني. و لم يجعل الخط الا ليكون حافظا للألفاظ و المباني الحافظة للمقاصد و المعاني. و في أقل تقدير: اذا لم يكن الخط مضبوطا فانه يمكن ان نقول بوجود تلف في هذا الكتاب, أي كتاب. و اما ان يقال أن حفظ في القرءان انما هو في الصدور أولا و في السطور ثانيا فنرد على هذا: صدور من !؟ ان كان صدر هذا يحوي شيئا و صدر ذاك يحوي شيئا اخر, فالحجة لصدر من بالضبط؟ و لا يوجد اجابة محترمة على هذا السؤال و انما هو التحكم. فضلا عن انه ينسف كل الايات و المعاني التي سبق ان ذكرناها. و فضلا عن اننا سنسأل حينها: و صاحب الصدر المقدس هذا من أين أخذ مافي صدره؟ ان قلتم بتسلسل الأمر الى النبي, فهذا يعني أنه لا يوجد حاكم على مافي صدور الناس, بل كل من يدعي وصلا بالنبي سنضطر ان نقر له بذاكا ! و ان رفضناه فلا حجة راسخة في رفضنا. بل الامر في أقصا الاحوال يرجع الى حجية المرويات و الاحاديث و هذه فيها ما فيها, بل و ان جعل هذه هي الحجة يكون رفعا للمرويات على كتاب الله, بل و يكون كتاب الله محكوما و ليس حاكما, و انما انزل الكتاب "ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه". فان جاء مسلم و رفض قراءة أحد القراء بل و طعن في مصداقيته اصلا, فأي حجة تقوم في وجه هذا المسلم؟ ان كان الكتاب المخطوط ليس حجة فاذن لم تبقى الا دعوى "الاجماع" و هذه فيها ما فيها. (راجع كتابي :علو القرءان و الناس على السنة و الاجماع و القياس, لمزيد تفصيل في الأمر ان شئت). و هذا الكتاب الخطوط ان لم يكن منسوبا الى النبي فانه لا حجة في خطه مطلقا. و حيث لا حجية في ظاهر الالفاظ, فان هذا مقدمة لرفع الحجية عن باطن المعاني كذلك. اذ ما يدرينا لعل اللفظ كان بصورة اخرى و حيث ان اختلاف اللفظ يؤدي الى اختلاف المعنى بنحو من الأنحاء, فان هذا يقتضي أنه حتى حجية القرءان المطلقة تزول. ما لا يفهمه أئمة الاحزاب هو أن رفع الحجية عن كتاب الله باي من الطرق السالفة الذكر يعني انهدام الدين الذي نزل على محمد كله . فبعض أهل الغفلة يقول مثلا: انه لا حجية في كتاب الله بسبب كذا و كذا, و انما الحجية للروايات الواردة عن المعصوم او المعصومين! أيها الغافل التعيس, ان ذهبت حجية "كتاب الله" فأي حجية لفلان و فلان من الناس ممن ينتسب الى الله ! من هؤلاء أصلا ! ان زالت حجية القرءان فقد انهدم كل الدين, فلا معصوم و لا معصومين و لا يحزنون. انما يستمد هؤلاء سلطانهم من بعد ثبوت الحجة بكتاب الله, فان ضعفت هذه الحجة أو زالت بالكلية (كما هو مقتضى أفكارهم و نظرياتهم) فان هذا يعني زوالهم هم أيضا. فلا "أهل بيت" بدون ثبوت حجية كتاب الله, و لا "صحابة" بدون ثبوت حجية كتاب الله, و لا أي شئ اخر. الدين كله لا قيمة له بزوال الحجية عن كتاب الله لفظا و معنى. و أي محاولة للالتفاف على هذه النتيجة انما هو لعب أطفال و استخفاف بعقول الناس.

ان قالوا "النبي خط القرءان بنفسه و لكن ضاعت هذه النسخة" أو قالوا "النبي املى القرءان بخط معين و ضاعت هذه النسخ" فان هذا يعني ان القرءان الذي نزل على محمد ضاع. أو لا أقل قد ضعفت حجيته ضعفا مهولا و الشك متسرب بل متخلل لكل الدين أصلا و فرعا. فاذا أضفت الى هذا غياب رسول الله نفسه و الذي عرفنا أهمية وجوده مع كتاب الله ليقوم بتبيين ما قد يختلف فيه بعض الناس من فهم معاني كتاب الله بسبب قصور فيهم و ليس في كتاب الله, كما يشرح الاستاذ ما يستغلق على التلميذ من معاني الكتاب محل الدراسة لقصور في التلميذ و

ليس لقصور في الكتاب, و هذا طبيعي, فان النتيجة هي كون كتاب الله نفسه قد زالت أو ضعفت حجيته, و الدين كله قد ضعف او زالت حجيته بسبب غياب الرسول, فالحاصل أنه لا حجية لكل هذا الدين. اللهم هو من باب الاستئناس بكتاب عربي موجود بين الناس كما نستلهم و نستأنس بكتب عربية أخرى من قبيل الفتوحات المكية للشيخ الأكبر ابن عربي أو أشعار المتنبي او غير ذلك من كتب انسانية.

و ان قالوا "النبي لم يخط بنفسه و لم يعلّم أحد خطا ما بل اكتفى بالنطق" فنفس النتيجة السابقة تنطبق عليه بالاضافة الى المحذورات التي سبق ان ذكرناها. فضلا عن مخالفتها لصريح القرءان و منطق الحكماء بل و صغار العقلاء في التعامل مع نتاجهم العلمي و الفكري (فما بالك لو كان منتجا الهيا ربانيا !).

فلا يبقى الا أن النبي قد خط بنفسه و بقي ما خطه في أصله محفوظا باقيا. و لا يوجد خط موجود الا خط هذا المصحف المتواجد الان في صورته المجردة. و هذا هو أسلم النتائج التي لا تقع في أي محذور له قيمة. نعم انها تخالف مثلا عقيدة بعض الناس بأن النبي كان جاهلا بالخط العربي, و يفسرون "أمي" بهذا, و لكن هذا شأنهم هم, و قد سبق أن رددنا على هذه الدعوى الضعيفة الغير محترمة فلا نعيد. فاذن هذا المصحف الموجود ليس مصحف عثمان و لا مصحف علي و لا مصحف أبولهب, و انما هو كتاب محمد اذا أزلنا منه هذه الاضافات و جردناه. و أما باضافة هذه التشكيلات – التي لا تحرف الاصل في نفسه كاضافة حرف كامل على كلمة او حذف حرف كامل من كلمة- فانها تصبح قراءة معينة لكتاب محمد. و تكون كل قراءة محكومة بقدرة صاحبها على الاستدلال عليها كما يستدل على أي فكرة يطرحها على الناس أي مفكر عموما.

و لكن لنفرض أن القرءان الذي نزل على محمد ضاع فعلا. او سقطت حجية ما بقي منه سواء لعدم الثقة بان المكتوب الان في المصحف هو عين ما خطه النبي و أشرف عليه, أو لان النبي نفسه غائب فلا نستطيع أن نجزم بان المعنى من الاية هو كذا أو كذا, فلنفرض هذا و نرى ماذا يترتب عليه و هل هو كارثة مطلقة أم ماذا ؟

الجواب في كلمة واحدة: ان هذا القرءان ليس الا تجليا من تجليات القرءان المطلق. ثمرة من ثماره. فحتى اذا افترضنا ضياعها, فانما ضاعت ثمرة و بقيت الشجرة. و الشجرة المباركة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها. و لن تجد لسنت الله تبديلا و لن تجد لسنت الله تحويلا.

و اما شرح هذه الكلمة تفصيليا فراجعه ان شئت في كتابي (عقد الؤلؤ, في مبحث قول القرءان "و انه لفي أم الكتب لدينا لعلي حكيم"). و حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم.

فاذن نخلص من هذا الباب الى (وجوب ازالة الرموز و التشكيل و التنقيط. و ذلك ليرجع الكتاب الى صورته الأصلية التي جاء بها النبي. و اعادة ترتيب السور بحسب شاهدي الاشراق و التعليم. و تكبير حجم الكتاب و تحسينه حتى تسهل دراسته و التأمل فيه لمدة طويلة بارتياح)

5(قاعدة لفهم الكتاب)

الشيء يختلف باختلاف العين التي تنظر اليه , و باختلاف النور المسلط عليه. فالشجرة شيء واحد منفصل عن رؤية الناس لها, فسواء نظر الناس اليها أو لم ينظروا فستبقى الشجرة كما هي في نفسها. و اذا جاء رجل الهي قد ينظر الى هذه الشجرة و يقول "هذه تمثل عوالم الخلق". و يأتي عالم نبات فينظر الى نفس الشجرة و لا يهتم الا بتحليل عواملها الجسمانية و ملاحظة شؤونها. و يأتي بدوي أعرابي فيجعلها مثالا للأنساب. و هكذا كل شخص يرى فيها ما يناسب عقله و يصفها من منظوره. و أما هي فليست الا شجرة. بل حتى هذا الاسم نحن الذين اخترعناه لها, أليس أصحاب كل لغة يسمونها باسم.

و كذلك بالنسبة للأنوار. فنفس الشيء ان وضعته تحت نور أبيض سيظهر على وصف, و أحمر على وصف آخر, و هكذا. فيوجد نوع من الأشعة اذا سلطتها على جسم الانسان فلن ترى الا هيكله العظمي, فهل معنى ذلك أنه لا يوجد لحم و دم؟ لا و لكن كل نور يظهر شيء.

و كذلك الأمر بالنسبة لأي كتاب, يجب أن نحدد ما هي العين التي ننظر بها اليه, و ما هو المنهاج الي سنتبعه في الفهم. مع العلم أن كل قارىء له عين و له منهج حتى لو لم يعلم هو نفسه بالتحديد ما هي هذه العين و ما هو هذا المنهج. فهو يقرأ لا شعوريا, و يستعمل منهجه لا شعوريا. أما الذي يدرس منهجه و يحدده فهو الذي ينظر مطمئنا و على بينة. و لا يقع في مهاوي زعم الحق المطلق الذي "لا يختلف عليه اثنان" . فيكون على علم ووعي بأن المعاني تختلف باختلاف المنهج المتبع. فكأن المنهج هو البذرة و المعاني هي ثمار هذه البذرة.

و لكل صاحب كتاب الحق في أن يحدد المنهج الذي يريد من قراء كتابه أن يتبعوه حتى يصلوا الى المعاني التي يريدها هو. و هو بريء من كل معنى يستنتجه قارىء يتبع غير المنهج الذي حدده هو. و المسؤولية تقع على القارىء نفسه. و على ذلك نتساءل: هل حدد القرآن المنهج الذي يريد من قراءه أن يتبعوه؟

لو كنا من القراء و قلنا "نعم يوجد منهج معين" فنسأل "و كيف استنبطنا أو عرفنا هذا المنهج؟" فلو كنا قد فهمناه من القرآن نفسه فهذا يعني أننا استعملنا منهجا ما لاستنباط هذا المنهج, أليس هذا دور منطقي متناقض؟ و من قال أن منهجنا الأول هو منهج صحيح؟ أليس باختلاف المنهج يختلف المعنى؟ فلو كان منهجنا الأول خاطىء لكان المعنى الذي استنبطناه من القرءآن, و الذي هو المنهج الثاني, خاطىء كذلك.

فمن الذي يحق له أن يدعي أن هذا هو المنهج الأحسن في فهم القرآن؟ هو القرءآن نفسه. و ما فات ليس دور منطقي و لا تناقض فيه. لأن القرءآن باللسان العربي و بالعقل و المقارنة يفهم. و هذا لأن القرءآن ذكر و ليس أنثى. فكما أنك الآن تقرأ كتابي هذا و تفهم ما أعنيه فكذلك القرءآن, يجب أن ننظر فيه و نرى المنهج الذي يرسيه. و الأدلة تمحص بالمناظرات و النقد.

و بحكم ما رأيت في الكتاب وضعت 14 ركنا يؤلفون قاعدة راسخة لفهم الكتاب. و بصورة عامة يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام: حياة الراغب في الكتاب. و ماهية تصميم نص الكتاب. و كيفية تثوير بواطن الكتاب.

1 حياة الراغب في الكتاب, و فيه ثلاثة أمور: القرآن للعلماء فقط, و ادرس اجتهادات الناس, و الحق حاضر في كل شيء.

2 تصميم نص الكتاب ,و فيه خمسة أمور: لا يوجد و لاحرف زائد أو ناقص, و القرءآن لنفع الناس, و القرءآن مطابق للواقع, القرءآن أمثال, و القرءآن بيان للأمور الاجتماعية و النفسية.

3 كيفية تثوير باطن الكتاب, و فيه ستة أمور: تساءل و قل "لماذا؟", و استعمل الكتابة في الدراسة, و أن تبني على ما بان, و القرءآن وحي يوحي, و التأمل الباطني العميق, و استعمال المعاجم .

و نفصل قليلا في كل واحدة من هذه الأركان الأربعة عشر. و نذكر بأنه من الخير لو استطاع كل دارس للكتاب أن يظهر ما يرى أنه يحتاج الى نقد, و يزيد في أركان القاعدة ان استطاع حتى تزداد القاعدة ثباتا و رسوخا. و الأمور بأصولها.

(الحق في كل شيء حاضر)

الحق هو ما ينفع الناس, و الملكوت, و العشق.

أما ما ينفع الناس فهو في قوله " فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" و الانسان قلب و جسم و علاقات مع الناس و المخلوقات الأخرى. فكل ما يجلب العلم و الرضا للقلوب و الصحة والجمال للأجسام, و يحسن العلاقات بين الناس, فهذا يعتبر من الحق الذي ينفع الناس.

و أما الملكوت فهو العقل التام. و لكل انسان عقل, و لكن بازدياد علمه و اتصاله بعقل الخالق عن طريق فهم أسرار خلقه و كتابه يزداد اقترابا من النور التام. "ربنا أتمم لنا نورنا" .

و أما العشق فهو الوجود المطلق الواحد "هو الأول و الآخر والظهر و الباطن".

و معنى أن الحق في كل شيء هو أنك اذا لاحظت أي شيء مهما كان, سواء جسم أو ظاهرة أو فعل انساني, فانك تستطيع أن تستخلص منها أمر ما ينفع الناس بل أمور, و يجعلك تفهم عقل الخالق أكثر, و يجعلك تشعر أكثر بصلة هذا الشيء بالوجود المطلق.

و رؤية الحق في كل شيء هي التي تميز الأحرار عن العبيد. " فلله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله" و يقول "الله هو الحق" فاذن أينما تولوا فثم الحق. و لذلك لا يتقيد العالم بالنظر في علم واحد, أو يأخذ من صنف واحد, أو أي نوع من القيود. و لكنه يعلم الحق, و يعلم أنه في كل شيء فيراه و يرى به. و يستطيع أن يميزه من بين الفرث و الدم فيخرج لبنا خالصا.

(ادرس اجتهادات الناس)

يقول " فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك" " ما كنت بدعا من الرسل" فأعلم الناس هو الذي يحيط علما بما عند الناس ثم سيزيد عليهم.

و حب الشعور بالكبر يجعل بعض الناس تكره دراسة اجتهادات الآخرين و ذلك لأنهم يريدون أن يظهروا و كأنهم قد ابتكروا كل فكرة, و أنه لا أساس لها قبلهم. و دافع الشعور بالكبر صحيح مبرر لا يخلو منه أحد اذ هو و الراحة جوهر النفس. و لكن الظن بأن عدم دراسة ما أظهره الناس هو من الوسائل التي تحقق الكبر ليس دائما صحيح. لأن الخطأ يكثر عند من لا ينظر في أخطاء الآخرين.و كذلك الصحيح يكثر عند من ينظر في الصحيح الذي اكتشفه الآخرون.

ثم ان كل انسان له وجه نظر للأمور, و أكمل الناس من استطاع أن ينظر من أكثر من وجه. بل كلما زاد عدد الأوجه التي يراها زاد علمه. و ما اجتهادات الناس الا تعبير عن أحد وجهات النظر.

و لماذا تضيع الوقت و الجهد في اكتشاف أمر قد فرغ الناس من اكتشافه من قبل؟ أليس من الأفضل لو أخذت اجتهادهم و محصته ثم عملت على تطويره و الزيادة عليه؟ فقد يبذل العالم سنوات طويلة في التأمل و التجارب ثم يضع ذلك في كتاب, فتقرأ أنت هذا الكتاب في بضعة أيام أو ساعات, فتزيد الى علمك و قوة ملاحظتك و عقلك سنوات في ساعات. أليس هذا أحسن من أن تبذل نفس السنوات في نفس ما بذل هذا العالم؟

فذلك كمن لا يريد أن يسافر بالطائرة حتى يخترع هو من الصفر طائرة! خذ الطائرة التي بذل الناس قرون في تطويرها ثم عدلها و طورها ان استطعت و شئت.

(القرآن لمن يرغب أن يعيش ليتعلم فقط)

" و قل رب زدني علما" أساس التعاسة هو طلب السيطرة على ما ليس فيك و الفراغ السئ. و طلب السيطرة على غير نفسك هو مجرد وهم في الخيال, شيء لا يتم أصلا, لأنه يحتاج الى أمور كثيرة, و حتى على فرض تحققها فانها لا تسمن و لا تغني من جوع. كالذي يريد أن يسيطر على زوجته بحبسها في البيت, و كأنها لا تستطيع أن تدخل رجلا من الشباك الخلفي! و السبب الذي يجعل الناس تحب السيطرة على الأمور الخارجية هو للراحة والكبر. الراحة لضمان الخدمة و المتعة, و الكبر لأن الأقوى أكبر. و المسيطر يعتبر نفسه أقوى, لأنه استطاع أن يجعل ارادته تغلب ارادة المستضعف الذي سيطر عليه. و الشعور بالغلبة و القوة هو من الكبر. و لذلك يرغب فيه الناس. و الفراغ تعاسة لأنه يجلب الملل. و حقيقة الفراغ في العقل, فحتى الذي يجلس وحده في دار منعزلة, و لكن يحلل و يدرس, هل يعتبر فارغا؟ فالفراغ هو توقف الفكر عن أمر مرغوب و التأمل و الشعور. و كذلك الذي يطلب أن يمنع الفراغ من حياته بالمال و الناس فلن يخلو من تعاسة, اما بسبب الجهد و الهم في جمع المال, أو من عدم وجود المال أصلا, أو من قلقه. و كذلك مع الناس.

فاذن طلب الرضا و الفرحة من الأمور المالية و الاجتماعية بحسب الأصل جالب للتعاسة عاجلا و آجلا.

أما في الحياة للتعلم, فالسيطرة الحقيقية موجودة, و الكبر محقق, و الفراغ معدوم.فالسيطرة تكون عندما يعلم المستنير كيف تسير الأمور, و يفهم الأحكام التي تسير الأمور, فانه يشعر بداخله أنه هو الحاكم, و حبيب الملك ملك

مثله. لأن الفكرة متحدة مع المفكر. و أيضا لأن حكمه لنفسه متحقق, من حيث انه يستطيع أن يجعل نفسه يعمل ما يشاء و يمتنع عما يشاء, أو يفكر في شيء أو لا, أو يشعر بشيء أو لا. و أيضا عندما يعمل الناس بما ينتجه العالم فانما هو في الحقيقة يحكمهم. أليست الأحكام التي قالها تسري عليهم, و هل الحكم غير سريان الأحكام؟ فالعالم حاكم بلا جيوش و معظم بلا سيوف.

و عدم الفراغ, هو لكون الكتاب لا ينتهي العلم الذي فيه, فهو دائما يثير تساؤلات جديدة. و الحياة فيها من العلم ما لا يفرغ منه العالم الواحد و لو بعد قرون. فعقل العالم لا يتوقف, و بالتالي لا يشعر بالفراغ التعيس أبدا. و لذلك لا يمل و لا يفتقر الى غير نفسه من أجل أن يملأ فراغه. و لذلك التعلم يعتبر حياة أبدية و فرحة خالدة.

و عندما نقول أن القرآن لمن يرغب أن يعيش ليتعلم, فمعنى ذلك أنه لن يفرح به الا هؤلاء. و لن يصبر على فهمه و التعمق فيه و انتظار الاجابة على الأسئلة المطروحة, و الصبر على الجدل و الفرحة به, لن يقوم بكل ذلك الا العلماء, أي الذين يعيشون للتعلم في الأصل. و بما أنه شديد العمق و له أوجه كثيرة و مسائل عديدة فان دراسة اجتهادات الآخرين فيه يعتبر نوعا من الضرورة الحسنة.

و بعكس الذي يعيش ليتعلم هو الذي يعيش ليلعب, و اللعب يولد التنافس السيء و الحقد و الغضب و انشغال العقل بتوافه الأمور, و يخلق جو مشحون بالسلبية و الهموم الغير مجدية. و كل ذلك يزهد الانسان في العلم و التفكير المستنير و يجعل مجرد فكرة "التفكير المستنير" فكرة تافهة مضحكة تجلب السخرية على صاحبها. و هذا مفهوم تماما. ثم ينتهي به الأمر أن يجعل القرءآن كيوسف و يبيعه بثمن بخس, أوهام معدودة.

فان كان مجرد وجود الانسان حول اللاعبين قد يلهيه عن القرءآن, فما بالك لو كان هو نفسه من اللاعبين؟ أهم قرار يتخذه الانسان في حياته هو هذا: هل أريد أن أعيش لألعب أو أعيش لأتعلم؟ و الجمع بينهما كالجمع بين الليل و النهار في ساعة واحدة. و من استطاع ان يجمع فليجمع و يرى ان كان فعلا يستطيع بدون ان يبخس احد الامرين حقه. لا تستطيع ان تسافر الى الشرق و الى الغرب في نفس الرحلة في نفس الوقت. قرر قبلتك و لا تكن من التائهين في صحراء اليهود "كمثل الذي استهوته الشيطين في الأرض حيران". فائتنا ايها العزيز!

(الكتاب تام الدقة, و لا يوجد شيء لا فائدة منه أو يمكن التخلي عنه)

يقول " ألا له الخلق و الأمر" و " و كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا" و " و زاده بسطة في العلم و الجسم" و " و لا تعجل بالقرءآن من قبل أن يقضى اليك وحيه و قل رب زدني علما" فاذن القرآن كالجسم التام, و من المعلوم أن

خلية واحدة من مليارات الخلايا في الجسم لو تغير فيها شيء بسيط فان السرطان يتكون و يقضي على الجسم كله. و كذلك دقة القرءآن فان حرفا واحدا منه لو تغير فان المعنى كله يتغير.

و بما أن دقة و حكمة كل كتاب تتناسب مع حكمة و دقة بيان الكاتب, فالطفل الذي يعبر ليس كالشيخ, و الشيخ الجاهل ليس كالشيخ العالم. و بما أن القرءآن يعتبر كتاب الله, فيجب أن نعتبر أن كل كلمة و حرف قد وضع في محله ليؤدي غرضا أو أغراض.

و لو فهمت آية بطريقة ما, ثم غيرت شيء في الآية و ما زلت على نفس الفهم قبل التغيير فهذا يدل على أنك لم تفهم بدقة بعد. و هذا معيار عظيم فافهمه جيدا.

مثلا قوله " و قال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرءآن مهجورا" فاذا حذفنا كلمة "هذا" لتصبح الآية "اتخذوا القرءآن مهجورا" فما الفرق؟ العقل الشعري السطحي لا يرى فرقا, و قد لا ينتبه أصلا, و لعل قرون مرت و لم ينتبه الى هذا أحد على حد اطلاعي. فالمقصود بالنسبة لهم واحد, و هو أن قوم محمد هجروا القرآن و السلام.

و لكن مع دقة الملاحظة تظهر عشرات الأمور. أولها هو أنه لا يوجد قرءآن واحد, أي أن كل قصص و تعاليم تدعي أنها الأحسن و الأقوم للحياة هي قرءآن. فقوله "اتخذوا هذا القرءآن" يدل على أن العرب هجرت قصص القرءآن الى قصص أخرى و تعاليم أخرى. و هذا ما يفعلونه الى اليوم. و هذا يبين أيضا الحقيقة النفسية التي تقول أن الانسان لا يترك و لا يستطيع أن يترك شيء الا من أجل شيء آخر. و فيه اشارة أن هذه التعاليم الأخرى تنسب الى القرءآن و الوحي الالهي, كالقصص و السير التي يترك بعض الناس من أجلها قصص القرءآن و تعاليمه. و الكثير الكثير. و انما فقط أشير.

و مثلا قوله عن بني اسرائيل و لهم "اذ فرقنا بكم البحر" لو غيرنا الباء في "بكم" ووضعنا حرف اللام لتصبح "اذ فرقنا لكم البحر" ما الفرق بين الكلمتين؟ "بكم" أي بكم و بمجهودكم. أما "لكم" فتعني الاتكالية السلبية, هم قعود و الله سيخدمهم. فالفرق أن "بكم" تجعل المؤمنون يسعون لخلق النصر, أما "لكم" فتجعل الناس تقول كالمنافقين الكسالى "الله سينصرنا, ان لم يكن في الدنيا ففي الآخرة, دعوا الظلمة يفعلوا ما يشاؤون, الأمور بيد الله" و ما أشبه. و غير ذلك الكثير الكثير فقط في هذا الحرف.

و اذا أردت أن تعرف السرطان الذي يسببه تغيير حرف واحد, فانظر الى ما وقع فيه الناس عندما غيروا "الى" و جعلوها "من" في قول الكتاب "براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين", فجعلوا "الى" تساوي "من"

فأصبح المعنى أن الله و رسوله ينقض العهود؛ الله الذي جعل من أركان الصرط المستقيم الوفاء بالعهد يقولون أنه أمر هنا بنقص العهود و السيف و لا قوة الا بالله. فألغوا بناء على ذلك كل آيات السلام و العلم و الدعوة بالحكمة في الكتاب أو "نسخوها" على حد قولهم, و راحوا يعتدون على الآمنين في عقر دارهم, و يسعون في الأرض بالجيوش و السبي و الاستيلاء على الديار, كل هذا ان نقبت عن جذره الأول و سندهم في الكتاب فسترى أنه بدأ من تغيير حرف واحد.

و كذلك من أعظم الحقائق النفسية و العلمية تختبيء تحت حرف و ضمير و كلمة. و الفرق بين عقل الشعراء و عقل الأنبياء هو في هذه الدقة اللامتناهية في النظر كما قال الله " النجم الثاقب" عيون كالماس تثقب الصخور لتصل الى جوهر الأمور.

(القرءآن ليس لعبادة الله و نفعه و لكن لنفع الناس)

" لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه" فكله حق, أي كله نفع للناس. و ينبني على ذلك أمور منها أمرين: امكانية فهم القرءآن كله, اذ المجهول لا ينتفع به. و يجب أن نصل في تحليله و البناء عليه الى درجة فهم الأسباب و فهم الغايات حتى نبلغ درجة فهم كيفية اصلاح أو تطوير أمر ما.

فمثلا, قول الكتاب في سورة الجن "استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا" ماذا يهمنا لو كان الجن نفر أو كان مجرد جني واحد؟ و لماذا يهمنا معرفة وجود جن أصلا؟ ثم ما أدرانا ما الجن و ما شأننا بهم؟ و هل فرغنا من فهم الانس حتى نبدأ بفهم من هم الجن؟ ثم كيف استمعوا و أي رعب هذا سيتولد في النفوس لو علمنا أن العفاريت تحيط بنا. و غير ذلك كثير. فكون القرآن لنفع الناس يستلزم البحث في مثل هذه التساؤلات, و التي لا ريب, و أعلم هذا من واقع التجربة, أنه يظهر علم نافع كثير من وراء هذه التساؤلات.

فمعنى أن القرءآن كله حق هو أنه كله قابل للفهم و كله نافع للناس. فمن يدعي أنه يؤمن بالقرءآن يجب أن يظهر في حياته و شروحاته للقرءآن هذين الأمرين. و الا فهي دعوى الى أن في القرءآن باطل و العياذ بالله. و الطفل الذي ينظر في كتب الأطباء فلا يفهم شيء لا يعني ذلك أنه لا يوجد أطباء و ناس تفهم هذه الكتب العلمية.

(القرءآن أمثال)

" و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها الا العالمون" الأمثال لسان الأنبياء و الحكماء.و هذا مبني على حقيقة توازي العوالم و تداخلها. العوالم الأربعة: الآفاق و الأنفس و الملكوت و النفس المتعالية.

فمثلا بسيطا هو مثل المسيح الذي يحي الموتى. الميت مثل آفاقي, معناه النفسي هو الجاهل بالحق, و معناه الملكوتي هو الذي ليس من الملأ الأعلى, و معناه العشقي هو الفاني في وحدة الوجود. و هكذا في باقي الأمثال و لكن بتفصيل أكثر و انما أضرب مثلا لتبيين المعنى.

و ليس للمثل الواحد معنى واحد, بل أمور كثيرة, و سنن و أحكام, و أنوار. بقدر عقلك يعطي الكتاب لك. و بقدر تساؤلاتك و نظرك و صبرك يكون عقلك. و معاني المثل هي التي تسمى باطن, و لكن الباطن باطن بالنسبة للمحجوبين و لكنه ظاهر للأنبياء و المرسلين.

في دولة جاهلة كان يوجد شيخ أعمى جسمانيا, و هو رأسا احد الاحزاب في هذه الدولة. جاءه رجل يقول ببديهة أن القرءآن أمثال لها باطن هوالمقصود منها. و تناظروا في مسألة: هل في القرءآن باطن أم لا؟ فقال الشيخ الأعمى جسمانيا و عقليا " لا ليس في القرءآن باطن اطلاقا! بل كله ظاهر يجب أخذه على ظاهره و الا سنخلق فتنة و فساد عظيم" فرد الرجل العالم بالكتاب و قال له " اذن بناء على قولك فانك أيها الشيخ بحكم القرءآن ستدخل النار مهما تفعل في حياتك!" فتعجب الشيخ و الحاضرين و قال له الشيخ " كيف؟ و لماذا؟!" فقال العالم " لأن الله يقول " و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلا" و أنت أعمى أليس كذلك؟!" فبهت الجاهل و حزبه.

و القرءآن اذا ضرب مثلا في مكان فصله في مكان آخر. و لكن حتى التحليل العميق للمثل نفسه في مكان واحد يظهر لك المعنى نفسه الذي ستعرفه لو قارنت بما ذكر في تفسير المثل في مواضع أخرى, و ما التفصيل الذي في مواضع أخرى بالنسبة لك عندها الا تأكيد و برهان زائد لك.

و قصص الأنبياء و المخلوقات كلها أمثال. كلها! و كل الكتاب أمثال. كالرؤيا التي تحتاج الى تأويل, و لذلك قال عن القرآن "يوم يأتي تأويله". و كشف رموز القرءآن هو العلم الذي يميز الأنبياء عن الشعراء و المجانين و الكهنة و السحرة.

فالقرءآن لا علاقة له بالحوادث التاريخية المزعومة, و هو الحاكم على كل الحوادث السابقة و الحاضرة و اللاحقة. فكما أن كل طاغية فرعون فكذلك كل مصلح موسى. فافهم.كقولنا مثلا " جنرال. عقيد. رئيس وزراء" هذه أمثال.

قد يكون العقيد اليوم اسمه خالد و ولد في قرية, و قد يكون اسمه عبد الرحمن و ولد على متن باخرة في المحيط الأطلسي. لا يهم. و لكن كل من تنطبق عليه أوصاف "العقيد" فهو عقيد. و كذلك الأمثال القرآنية.

(انما نزل الكتاب لرقي النفس و المجتمع)

" ان هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون" المجتمع مجموعة أنفس بينها علاقات, فاصلاح كل نفس منفردة مقدم على اصلاح العلاقات بين هذه الأنفس, اذ كيف تصنع علاقة حسنة بين مجرم و مسالم؟ و القرءآن لم يأتي ليبين علوم الفلك و البحار و ما أشبه فهذه أمثال, و يشير اليها ليتذكر الناس تعلمها و الانتفاع بها في معيشة أجسامهم, و لكن الغاية الأساسية هي فهم النفس الانسانية و علاقاتها.

فالقرآن كتاب تغيير دائم للنفس و المجتمع نحو الرقي. و لذلك يفتح باب الجدل على أكبر مصراعيه, اذ بالجدل الدائم يتعمق الفهم و تتبين المسالك الراقية النافعة. فنظرة واحدة على أي مجتمع تجعلك تعرف هل هذا مجتمع مع القرءآن أم مع الشيطان. و ليست المسألة دعاوي اللسان.

(القرآن مطابق للواقع)

أي انه لا يأتي بما لا نراه و نعرفه في هذا العالم الآفاقي, أو يمكن فهمه. و لن تجد في القرءآن ما لا يمكن تحقيقه أبدا. فيجب أن ندرس الأمور التي تبينها الآيات حتى نصل الى أمر يمكن تحقيقه على الأرض, و ليس الكلام المجرد الذي لا فائدة فيه.

و لا يمكن أن يخالف القرءآن أي حقيقة واقعية. كأن يعطي تعاليم مثالية خيالية لا تتلاءم مع جوهر نفس الانسان.

(قل " لماذا")

لكل خزنة مفتاح, و مفتاح خزائن القرآن هو "لماذا؟" . أن تتساءل "لماذا قال كذا؟ و لماذا لم يقل كذا؟ "

و سر ذلك أن الامداد بحسب الاستعداد, و عندما تقول "لماذا" و تتساءل فانك بهذا تخلق وعاء الاستعداد في عقلك لتقبل الجواب, و بذلك ينفتح قلبك للفهم. و تشحن عقلك لبحث الأمر و اتمام الفهم. فلاحظ مثلا مدى استيعابك لأمر فرضته عليك المدرسة أو الجامعة, و أمر أنت تبحث عنه لأنك تحبه و عندك فضول حوله.

(استعمال الكتابة في الدراسة)

فلنفرض أن قوة العقل 100 وحدة, فعندما تركز كل هذه القوة للاجابة على تساؤل فسيخرج الجواب بسرعة و بحكمة. و عندما تريد أن تبني على هذا الجواب فانك ستضطر الى استعمال قوة لحفظ هذا الجواب و ابقاءه حاضرا في عقلك الواعي, و القوة الأخرى الباقية من أجل البناء, فمثلا 20 وحدة للحفظ و 80 للبناء. فاذا أردت أن تزيد فوق ذلك البناء فانك ستضطر أن تنفق 40 لحفظ البناء الأول و 60 فقط لبناء الزيادة, و بذلك توزع قوتك العقلية على ثلاثة, قسم لابقاء الجواب الأول و قسم للثاني و الباقي من أجل البناء. و هكذا تضعف قوتك العقلية في البحث اذا تفرقت بين حفظ القديم و البحث عن الجديد.

و لكن اذا استعملت الكتابة أثناء التفكير, أي أن تدون أفكارك و تحليلاتك و استنتاجاتك في كتاب اولا باول, فانك ستستعمل دائما ال 100 وحدة للبحث عن الجديد و البناء. "الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم" .

فاستعمال الكتابة في تحليل الآيات و دراستها هو من أحسن الوسائل للدراسة العميقة, و أيضا لأنه بذلك ينتقل تفكيرك و علمك للآخرين, و بذلك تسجل تجربتك و اجتهادك كما هو. و حتى لو لم تشأ أن تنشر هذه الكتابات فانها على الأقل ستساعدك أنت في البقاء على قوتك الكاملة أثناء التفكير و البحث. و بالكتابة تفرغ ما في باطنك, و بهذا تخلق مكانا جديدا فيك فيه سعة لتقبل علم جديد, كافراغ المعدة, فهل تستطيع أن تأكل لتنمو لو كانت المعدة تأخذ و لا تخرج؟ و بذلك تكون دائما في ترقي في العلم. أما الذي يعتمد على ذاكرته فقط لحفظ ما استنتجه من الدراسة, فانه سينسى و لا شك, و أيضا يفرق قوته بين الحفظ و التأمل و هذا ضعف.

و بالكتابة أثناء الدراسة تستطيع أن تسجل كل الاحتمالات الممكنة للاجابة, ثم تنظر فيها الواحدة تلو الأخرى بقوة, فتحللها و ترى ما فيها و ترد عليها و هكذا. و قارن هذا بما لو أنك أردت أن تقوم بنفس العمل و لكن اعتمادا عل الذاكرة و العقل المجرد وحده. فالكتابة باب للتوسع و تقليب الوجوه و التعمق في الأمور.

و القرؤآن كالقلب, حياته في شروحات قراءه. و كل كتاب في دراسة القرءآن هو من القرءآن نفسه, كالأب و ابنه. و اذا توقف الناس عن دراسة كتاب الله فيعتبر هؤلاء هم قتلة الأنبياء. و اذا تعمقوا فيه و نشروا دراساتهم العلمية فيعتبر هذا هو النفخ في الصور.فالكلمات كالصور لا روح فيها و لكن بفهمها تنفخ فيها الروح.

(العلم أن تبني على ما بان)

ماذا يبنى على كون الجن الذين سمعوا النبي نفر و ليسوا جني واحد؟ ماذا يبنى على كون الله يشرع أمرا حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء؟ ماذا يبنى على كون القرآن نزل بالعربية؟ ماذا يبنى على كون العزيز و فرعون و زكريا كفلوا أيتاما؟ و هكذا و أكثر , هذا هو العلم. فليس مجرد ملاحظة أمر يعتبر علم, و لكن يجب أن تبني على هذا الذي ظهر لك. هذه هي الحكمة.

و هذه القاعدة هي التي بها سيتحقق قوله " و اذا البحار فجرت" لأنها ستجعل الآية من الكتاب تحوي من العلم ما لا يعلم حده الا الله. هذه و باقي القواعد كذلك.

(القرآن وحي يوحي)

و معنى هذا أنه يجب أن يكون من ضمن نظرتك الى القرءآن و ما يبينه هو استلهام المباحث و الأمور. و ليس مجرد دراسة ما يقول. فمثلا عندما يقول القرآن أن يعقوب حزن على يوسف مدة طويلة جدا, فالدراسة هي أن تفهم الحقائق التي وراء هذا الأمر, و الاستلهام هو مثلا أن تبحث عن معنى الحزن و أسبابه و علاجاته و هكذا. فيصبح القرءآن معطي للأفكار و أيضا محفز للبحث .

(الاستعانة بالمعاجم و تمحيصها)

المعاجم القرآنية و اللغوية. و هذه تجعلك توسع آفاق فهمك للكلمات القرآنية العربية. و العالم, أي الذي يرغب في أن يحيا ليتعلم, يكون في رصيد عقله الكثير من المعاني و الكثير من الأدوات التي يستطيع بها تحليل الكلمات و استنباط المعاني منها عن طريق قراءاته المستمرة.

و المعاجم القرآنية تفتح أبواب كثيرة للدراسة. فمثلا لو عرفت أن كلمة معينة جاءت كثيرا في القرءآن, أو لم تذكر الا في موضعين, أو لم تذكر الا مرة واحدة, فمثل هذه الأمور تعطيك نظرة حسنة في دراسة الأمر الذي أنت فيه. و كذلك لو أردت أن تجمع قصة نبي, أو كل الآيات حول موضوع واحد فالمعجم يسهل عليك ذلك.

و كذلك المعاجم اللغوية. فمن هذا الذي يحيط بكل معاني كل جذر و كل تصريف لكل كلمة في كل اللسان العربي العظيم؟! أو حتى أي لسان. و لكن لا تجعل همك كله منصب على البحث في المعاجم, بل دع عقلك يسبح و يحلل, ثم ابحث ان شئت, حتى لا تتوزع قوتك و همومك في غير الدراسة و الروح. و المعنى اللغوي يجب أن يؤيده القرآن و العقل و لا فهو باطل. و من أسباب ذلك قد يكون لأن الكثير من المعاني اللغوية منتزعة من أقوال الشعراء. و الأنبياء و الشعراء لا يجتمعان.

و القرآن اذا جاء بكلمة فانه يفصلها في نفسها و في مواضع أخرى, فأن تنتزع معاني الكلمات العربية من كلام الله خير من أن تنتزعه من أقوال فلان و فلان من الشعراء و أمثالهم. و تعمق في الروح و لا يكن كل همك جمع المعاني اللغوية, و مع ذلك ابحث عنها, و المهم أن لا تشتت تركيزك. و افعل ما تراه مناسبا لحالك.

(التأمل الباطني العميق)

" لا تحرك لسانك لتعجل به" عندما تتلو لا تستطيع أن تتعمق. لأن هم التالي باللسان هو مجرد العبور على الكلمات و الحروف الظاهرية. و أما الدارس فهمه الغوص فيها. و الفرق بين التالي باللسان و الدارس بالقلب كالفرق بين من يسبح في البحر و من يغوص فيه, و الكنوز لا تكتشف بالسباحة على ظاهر البحر أليس كذلك؟

و حركة اللسان تشتت القوة, و تجعلك تهتم بالجسم. و لكن القرءآن روح يتنزل على القلب, فيجب أن تدرسه بعمق قلبك ان أردت أن ينزل عليك.

و الله ضامن لكل من يفكر دائما في آيات الكتاب, سواء كان يمشي, أو يركض, أو يتمدد على شاطىء البحر, و في كل حال, الله يضمن لهذا أن يجعل فيه روح القدس. و كل من فيه روح القدس فهو عضو في مجلس الملأ الأعلى و له كرسي يجلس عليه و يسمع لحوارهم.

هذه قاعدة لتعلم الكتاب. لا تعبدها, و لكن افهمها, ثم انساها, و اعمل بها بلا تكلف ان شئت " قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون".

(خاتمة مبدئية)

من تعلم بالقرآن تبحر, و من عاش القرآن فهو ملك, و من تعود على تحليل القرآن فهم أكثر الأمور, و أنبياء كل زمان هم علماء القرآن "يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده"

"سبحن ربك رب العزة عما يصفون. و سلم على المرسلين. و الحمد لله رب العلمين"